



البعث الإسلامي

شعارنا الوجيد :

إلى الإسلام من جديد

تصدر : في ندوة العلماء لكتبه (الهند)

العدد الثامن عشر

المجلد الثامن عشر

طبع الثانى
١٣٩٤
مايو
١٩٧٥

Phone 22948
Regd No. L. 1692
AL-BAAAS - EL - ISLAMI
NADWATUL ULAMA, LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

إذا هبت ريح الإيمان

بقلم : ساحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى
صفحة رائعة من البطولات الإسلامية للسيد الإمام أحمد بن عرقان
الشهيد وأصحابه في الهند وقصة جديدة لم ترو فصوحاً للعالم العربي ، أزجع
فيها السثار عن أروع محاولة لإعادة الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي
في هذه البلاد في القرون الأخيرة ، تمثلت فيها روايات من الصدق
والإخلاص والتضحية والإيثار ، و البطولة النادرة و المهمة العالية ،
والخضوع لكم الله وستة رسول الله ، يتجمل بها تاريخ الإسلام العام ،
ويغتنى بها الشعب المسلم في هذه البلاد .

هذا الكتاب خير تحفة وأجل هدية لشبابنا المغافير في الجيوب
الأمامية أو في الواقع الخلفية ، و صفحة مشرقة رائعة من تاريخنا
الحافل العظيم .

٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط
النر ٦ ريالات أو ما يعادلها

العنوان : دار عرفات للبحث و الترجمة و النشر
“DARO ARAFAT ”, 37 - Goyne Road
Lucknow. INDIA

البعث الإسلامي

★ العدد التاسع
★ المجلد الثامن عشر

▪ مايو ١٩٧٤ م
▪ ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ

رئيس التحرير : محمد الحسيني
مدير التحرير : سعيد العظمي

أختي المسلم

أختي في العقيدة و الدين لافي التراب و الطين ، أختي على درب الإيمان و الجهد ، و طريق الشوك و القتاد ، أختي في النضال و الكفاح و النضجية و القداء ، أختي في الحق و الصبر في الوطن والمهاجر ، أختي في مهبط الوحي و منبع الصبح الصادق في لبل الانسانية الغاسق ، أختي في زهرة الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية و الامواج الثائرة ، أختي في اليأس والرجلاء والشدة والرخاء ، أختي في الله ا نقدم إليك هذه المجلة ملائحة لك في وجه الباطل ، زاداً لك في طريق الإيمان ، عوناً لك على نواب الحق ، نصيراً لك في صراع النور والظلام و معركة الجاهلية و الاسلام ، فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس للأمانة أكثر من دور مشترك رسمي في مجلة ، أو زبون في محل تجارة . ١٠٠

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدأ الجماعة بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم الناجي الذي لا يتحجر ، بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة ، فيما العالم الديني في عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو في علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار ، وبينما هو في نصوص الدين و عزائمها مرابط على الثغر و حارس للأمانة ، إذا هو في تفهمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، وبينما هو في الأول لا يعرف المروادة إذا هو في الثاني لا يعرف الجود .

فـ الهند و باكستان : عشرون روبيه - ثمـن النسخة روبيتان

فـ العالم العربي : جنيهان (استرليني) (بالبريد العادي)

أربعة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوى)

فـ افريقيا الجنوبية والشمالية : خمسة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوى)

الاشتراكات

العنوان بـثـ العـلـمـ ، دـارـ العـلـمـ لـنـدوـةـ العـلـمـ لـكـهـنـزـ (ـهـنـدـ)

الـهـاتـفـ : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨

NADWA, Lucknow

برـقـاـ

الـاشـتـراكـاتـ فـ باـكـسـتاـنـ تـرـسـلـ إـلـىـ مجلـةـ الـبـلـاغـ ، دـارـ العـلـمـ

كرـاجـيـ رقمـ ١٤ـ باـكـسـتاـنـ

مـكـتبـةـ المـنـارـ الـكـوـيـتـ

مـكـتبـةـ الـآـدـابـ الـرـيـاضـ السـعـوـدـيـةـ

المـكـتبـ الـإـسـلـامـيـ صـ بـ ٣٧٧١ـ بـيـرـوـتـ

مـكـتبـةـ الثـقـافـةـ الدـوـرـةـ قـطـرـ

إـقـبـالـ النـدوـيـ الجـامـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ السـعـوـدـيـةـ

الـشـيـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ مـحـمـدـ الدـوـسـرـيـ الـرـيـاضـ الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ

مـكـتبـةـ الـحـرـمـينـ صـ بـ ٥١١ـ الدـمـامـ (ـ السـعـوـدـيـةـ)

مـكـتبـةـ النـهـضـةـ بـرـيـدةـ الـقـصـيمـ الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ

يعـقوـبـ اـسـمـاعـيلـ منـشـيـ الـحـرـمـ

Yakub Ismail Munshi

1-Savile, Saviletown, Dewsbury, (Yorks), U. K.

مـكـتبـةـ المـنـارـ مـيدـانـ التـحرـيرـ صـنـعـاءـ الـيـنـ

الراسلات

الوكالات

في هذه العروض

محمد الحسني

قفزة واسعة إلى الأمام ١

التوجه الإسلامي

علوم القرآن

كيف دخل العرب التاريخ؟

الدعوة الإسلامية

ثلاثة أصناف من البشر

الدكتور سعيد رمضان البوطي

فضيلة الاستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى ١٥

دراسات وأبحاث

الدين ، الأخلاق ، القانون

فضيلة الشيخ منت الله الرحمن

فضيلة الاستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى ٤٤

الفقه الإسلامي

مهمة الاصلاح والتجدد لشيخ الاسلام ابن تيمية

فضيلة الاستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى ٧٣

حالة التبشير النصراني على الاسلام في بنغلاديش

الاستاذ دنس ولكر

العالم الإسلامي

في الشارقة ، ومناطق الخليج العربي

خطائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الاستاذ أمين عبد الله الفرقوري

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

خطائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الاستاذ أمين عبد الله الفرقوري

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عبد الأعظمي الندوى

خطائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الاستاذ أمين عبد الله الفرقوري

خطائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الاستاذ أمين عبد الله الفرقوري

خطائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الاستاذ أمين عبد الله الفرقوري

إن مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد أخيراً في لاهاي كان قفزة واسعة إلى الأمام ، إنها خطوة محبجة نحو هدف صحيح ، ولكننا ، بهذا المؤتمر العظيم دخلنا في مرحلة جديدة ، مرحلة البناء والتربية والتوعية ، مرحلة العمل الدؤوب الصامت ، وانتاج السريع في كافة المقول الاجتماعية والاقتصادية و الصناعية .

وأكبرها صناعة الحرب أو في تعبير أصح وأفعى « صناعة الموت » ، كما عبر عنه شيخنا الندوى في محاضرته التاريخية التي ألقاها برابطة العالم الإسلامي تحت عنوان « العرب يكتشفون أنفسهم » .

و العرب اكتشفوا أنفسهم مرة أخرى في هذا المؤتمر ، ووقفوا على خامات بشرية و طبيعية هائلة ، وثرة إنسانية كبيرة لا يعوزها غير قائد قوى أمن يبشرها ، ويطورها وينفح في هذه الأحجار الأدبية والخامات الإنسانية ، والبلادات البشرية حياة جديدة باذن الله .

« أو من كان مينا فأجنبناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، كمن مثله في الفللات ليس بخارج منها » .

والمهم في ذلك كله هو التربية بمعناها الأعم الأوسع .

(٤)

ربيع الثاني ١٣٩٤

تلك حقيقة قد عرفها الناس أكثر مما كانوا يعرفونها في الماضي بحكم تجاربهم ، و المؤمن - كما جاء على لسان سيدنا و نبينا محمد ﷺ - لا يلدغ من جحر واحد مرتين .

وللذكر في هذه الوقفة التاريخية التي تقفها الأمة هذه القصة فحن أحوج إلى دراستها و فهمها ، و العمل بها في الظروف الراهنة أكثر من أي وقت ، ثم ناطرق منها إلى طريق العمل .

• روى ابن هشام : قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجعبي ، وكان رسول الله ﷺ [قد] أسره يدر شم من عليه فقال يا رسول الله أقى : فقال رسول الله ﷺ : لا والله لا تمصح عارضيك بمكة (بعدها) تقول خدعت محمدآ مرتين ، اضرب عنقه يا زير ، فضرب عنقه ، قال ابن هشام : وبأغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال له رسول الله ﷺ ، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه (١) .

ولكي نواجه هذه الحقيقة القاسية التي لا ترضينا ، عن جداره و كفارة ونجاح ، يجب أن تكون قلوبنا عامرة بالإيمان ، و عقولنا مزودة بالعلم ، وأذهاننا متحللة بالوعي ، و مشاعرنا ملتئمة بالعاطفة ، وأنكارنا مستنيرة بالدعوة ، وأيدينا مشغولة بالبناء و التعمير و الانتاج .

و ذلك لا يتأق بعضا محりمة أو ماحمة كلامية ، و عهدنا بهذه الملاحم

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٦ .

، وإن هذه أمتك أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » .
أمة واحدة ، و منهج واحد .
أمة واحدة ، و شعار واحد .

لقد وصلنا - و الحمد لله - إلى مرحلة الوحدة ، و بقى أن نربى عقولنا وأذهاننا ، و مشاعرنا على المثالية الإسلامية ، و المنهج الإسلامي و العاطفة الإسلامية ، و آياتها ، إيمان مشرق ، و اعتزاز بالدين ، و حب الله و رسوله ، و كراهيّة الكفر ، و الفسق و العصيان ، و معرفة الجاهلية مهمّا تغيرت الواقعها و أزياؤها ، و تذوق الإسلام الحقيقي منها أثير عليه الغبار ، و عبّث به العابثون ، أو طفت عليه الأهواء ، و الأغراض و المصالح ، و أصبح عرضة لتأويل الجاهلين ، و اتحال المبطلين ، و مؤامرة المغرضين ، أو تلاؤ المذبذبين !

النزية الفكرية و العملية ، و تحسيد ما قررناه بالواقع الحي ، و تصدق الأقوال بالأعمال ، و متابعة النية الصادقة بالعمل الثابت ، ضرورة حتمية لا مفر منها لكل من وضع لبنة الأساس ، و أراد البناء ، أو أراد تطهير هذه الأمة عن أوزارها ، و أغلالها ، و أرجاسها التي لصقت بها منذ زمن طويل ، منذ عهد الثورة و النكمة .

و الآن بعد أن انكشف الغطاء ، و أطلق حchan الإسلام ليثبت سبقه في الرهان يجب أن تكون أكثر تيقظاً ، و حذرآ ، و تضحيّة ، و شجاعة و ذكاء من التعليمي المعتمد ، فالعدو بالمرصاد ، وهو يلتسم في وجوهنا مكرآ و يخفي خجره وراء ظهره خبأ ، و والله ما أخضعته المرؤة والنبل وإنما أخضعته الحاجة والفاقة ، وكلما نال بيته وقضى وطره عاد إلى سيرته الأولى .

ربيع الثاني ١٣٩٤

يجب أن يكونوا القدوة - وقد ظهرت باكورتها باذن الله وتوفيقه - المسلمين ، فالناس على دين ملوكهم ، وهم على آثارهم مقسدون ، وإن بادرة كريمة واحدة ، وخطوة عملية مؤقتة ومؤقتاً مشرفاً واحداً من صاحب سلطة وجاه وحكم ومال ينفع في أبناء الأمة وشبابها أكثر من مواطن العلامة ونصح الدعاء إلى الله ، وجهاد المخلصين من الطبقة الوسطى ، ومن الذين لا يملكون الأمر والنهي ، والتحول والطول أو قوة التغيير والاصلاح في الدولة والشعب ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وبالتربية الإسلامية العامة لكافة أبناء الأمة ، وبهذه القدوة النبلة الكريمة يستطيع العالم الإسلامي أن ينفع بهذا المؤمر الذي سيكون له ما بعده وما نأله من حسن النتيجة « والعاقبة للتقين » انتفاعاً كاملاً ، وأن يعرض بذلك عما فاته عبر القرون أو ما فاته بوجه التحديد بعد انحطاط آل عثمان وانسحابهم عن مسرح القيادة بثقة ذاتية ليس لها نظير ، وروح معنوية عالية لا ينال منها رب المون ، روح لا تبعث بها يد الفداء ، لأنها اتصلت بالسماء ، اتصلت بالله فاطر السموات والأرض ، « ولا تخسّن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياه عند ربهم برزقون » .

إن هذا النسق الرائع أو التنسيق العملي بين الجهد يبعث على التفاؤل بلا مراء ، ويشهد كل من يملك السمع والبصر والغواص ، فلستن هذا التنسيق والتحفيظ إلى هاتين الدعامتين القويتين اللازمتين لكل همة جديدة في العالم الإسلامي . إن الله يجب هذه الأمة على جهدها القليل ، وتجيئها البسير ، وإيقاظها على الله ، وجهادها في سبيل الله ما لا يبهما لأمم أخرى وشوب أخرى تكتب عن طريق الحق ، وعصت الله ورسوله رغم كفاحها الشاق المريض الطويل ،

الكلامية ليس بعيد ، خذار من أن ننراق في هذه المزاج مرة أخرى . إنها تحتاج كاً قلنا إلى تربة وتعبئة ، تربة النفوس وتعبئة الكفافات والقدرات ، فالنفوس الزكية الآية والكفافات الجمندة المسخرة لهدف واحد معلوم هي التي تستطيع أن تواجه الأخطار أياً كانت وأيماً كانت ، لأنها تنظر بنور الله ، وذلك ما أشار إليه الحديث النبوي « انقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » و لأنه يسير على هدى من الله « و من يهده الله فلا مضل له » .

هذه نقطة واحدة وهي تتعلق بالشعوب المسلمة ، أما النقطة الثانية فهي تتعلق بالقيادة ، فمسؤوليتها ، بالطبع ، أضخم وأدق ، فعلى قادة الأمة وزعمائها إذا حفظوا على عمل جدي نافع وتحويل بالأمة من الضعف إلى الرفعة ومن الذلة والهوان إلى العزة وتعلو الشان ، أن يعودوا إلى سيرة خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، إلى سيرة يوسف بن تاشقين وصلاح الدين رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء ، والأخير أقرب منا شبيهاً ومثلاً فنحن أيضاً نواجه حرباً صالية جديدة وتقع علينا مسؤولية استرجاع القدس .

عليهم أن يتزودوا بالوعي الكامل والشعور الناضج حتى لا يلدغوا من جحر مرتين وحتى لا يمسح المدو عارضيه ويضحك بهم . شدقه ويقول خدعت فلاناً وفلاناً .

عليهم أن يقرنوا أقوالهم بأعمالهم قبل أن يطالبوا بها شعوبهم . أن يبرهنو على إخلاصهم بالبذل والتضحية ، وإثبات الآجل على العاجل ، والسر على مصالح الإسلام والمسلمين قبل أن يكون ذلك كلمة على لسان ، أو مقالة بقلم وحديثاً على منبر .

فأله تعالى يحب أن يرى أولياءه منصورين ، وأعداءه مقهورين ، ويرى كلته
عالية في الأرض ، وشرعيته جارية في العباد ، فهو يبارك جهودنا ، ويكثر
قليلنا ويفتى ضعيفنا ، إنه غفور شكور ، حميد مجيد ، حليم كريم ،
نواب حكيم .

انظر إلى خيب وقد رفعوه على الخشبة واسمعه كيف ينشد بحن نبجي
لحن الحبيب وهو يكشف هذه الحقيقة .

ولست أبالي حين أقتل ملائكة على أي جنب كان في الله مصرعى
وذلك في ذات الله وإن يشا يبارك على أوصال شلو بمزع

أليست أمتنا شلوا هزعا وثوابا عزقا ؟؟
وهل هنا من يباركها ، ويلم شعثها ، ويجمع أطراها ، ويجدد حياتها

وزينتها وزهرتها غير الله سبحانه وتعالى !

فلا نأخذ في هذه المسالك الوعرة والمضايق المظلمة والدروب المضنية الطويلة
طريقاً أيسر ، وأنصر وأقوم ، طريق الإيمان و القرآن ، و إن هذا
القرآن يهدى لئى هي أقوم ، و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم
أجراً كبيراً .

محمد الحسني



التجربة الإسلامي

- علوم القرآن
- كف دخل العرب التاريخ ؟

ربيع الثاني ١٣٩٤

و متفاوتاً ، فنها ما يشتمل عليه القرآن بمعناه الحقيق دون أي تأويل أو مبالغة كل يوم الفقه والأصول والتفسير والبلاغة والقواعد واللغة ، ومنها ما يشتمل القرآن على أصوله و مفاتيحه بمعنى أنه ينبع الفارق إليه و يرشده إلى كثير من كلامه وأصوله ، ككثير من العلوم الكونية والفلكلورية ، وعلم الطب والآبدان .
الوجه الثاني : أن القرآن هو الذي به العرب والمسلمين إلى ضرورة الاقبال على هذه العلوم والابحاث ، بل هو المنطلق الأول لشيء اسمه «التدوين» في التاريخ العربي .

فالقرآن هو الذي أشعر الناس بضرورة وضع قواعد في النحو والاعراب ، وهو الذي أشعرهم بال الحاجة إلى وضع موازين وضوابط للبلاغة العربية ووجوهاً ، وهو الذي دعاهم إلى وضع الموسوعات اللغوية المختلفة ، وهو الذي اضطرهم إلى تدوين شيء اسمه (علم الكلام) بما يشتمل عليه هذا العلم من قواعد البحث والمنطق لتعزيز الأدلة النقلية بالبراهين العقلية ، ثم لو لا القرآن وما أدى إليه تدوينه والاقبال عليه ، لما أقبلوا بعد ذلك إلى شيء من العلوم الكونية والتشريح والطب ، وآية ذلك أن الذين نبغوا من العرب في هذه العلوم إنما نفذوا إليها من دراساتهم القرآنية قبل ذلك ، فأن لا تكاد تقع على ترجمة واحد منهم إلا وتجده مفسراً فقيهاً ذا باع طويلاً في القرآن وعلومه ، كابن النفيس مثلاً الطيب العظيم وصاحب اكتشاف الدورة الدموية ، فقد كان من قبل ذلك فقيهاً عظيماً أولاً في الفقه والسيرية النبوية .
وزعم له السبكي في طبقات فقهاء الشافعية (١) .

والخلاصة أن بنية الحضارة العربية بما اشتتملت عليه من علوم وفنون

(١) انظر طبقات السبكي : ١٢٩٥

علوم القرآن

الدكتور سعيد رمضان البوطي

ما هي علوم القرآن ؟

علوم القرآن كثيرة ، وحسبك أن تعلم أن المكتبة العربية كلها بعلوها المختلفة الكثيرة ، إنما انبثقت عن القرآن وتفربعت عنه . فعلم العربية بفروعها من أدب وبلاغة وقواعد ولغة ، من علوم القرآن . و الشريعة الإسلامية بفروعها من الفقه والأصول ، والتفسير والحديث والتوجيد ، من علوم القرآن ، و الشيخ وكثير من مسائل الكونيات وأصول البحث من علوم القرآن .
قال الزركشي : وكل علم من العلوم متزع من القرآن و إلا فليس له
برهان (١) .

وروى البهق في المدخل عن ابن مسعود أنه قال : من أراد العلم فليشور القرآن (أى يفكـر في معانيه وتفسيره وقراءاته) فإن فيه علم الأولين والآخرين قال : وإنما أراد به أصول العلم (٢) .

وقبل أن تستعظم هذا الكلام ، وترده إلى المبالغة والتزيـد ، نقول لك .

إنما يصدق هذا على أساس الوجهين التاليين :

الوجه الأول : أن القرآن يشتمل على كل تلك العلوم اشتتملا مختلفاً

(١) البرهان : ٧/١ . (٢) المرجع السابق : ٨/١ .

متى ظهر هذا الاصطلاح؟

ثم إنك تعلم أن عصر الصحابة كان عصر تلاق للقرآن و السنة ، وكان

(١) مقدمة ابن خلدون : ٢١٤ طبعة بولاق .

(١٢)

ربيع الأول ١٣٩٤

الصحابة رضوان الله عليهم يدركون معاف الألفاظ وما ورثها بفطرتهم العربية الأصيلة ، فإذا أشكل عليهم شيء من وراء ذلك أيضاً سألاً عنهم رسول الله ﷺ ، ثم كانت رقعة الحياة ضيقه لا تزخر أو تتراحم فيها التقابيد والأفكار والمشاكل ، الطارئة ، فكانت معارفهم في أذهانهم ، وكان مرجعهم فيها رسول الله ﷺ ، ثم كبار الصحابة من بعده ، فلم يكن عندم شيء مما أطلق عليه فيما بعد اسم «علوم القرآن».

ثم لما كان عصر التابعين ، قبل التابعون على مشاهير الصحابة يتعلمون منهم كتاب الله تعالى وتفسيره ، وربما أخذ البعض بدون من ذلك الكثير مما يحرض عليه ، وقد اشتهر من التابعين في دراسة القرآن وتفسيره : مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح و الحسن البصري .

روى ابن كثير عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهداً سأله ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه الواحه ، قال : فيقول له ابن عباس : أكتب ، حتى سأله عن التفسير منه (١) .

وهكذا تكون وظاهر في عصر التابعين « علم تفسير القرآن » في مقدمة علومه وأبحاثه الأخرى ، إذ هو أساسها وإليه مردها ، ظهر على بدأ تدوينه وجمعه ، بعد أن كان معارف في الأذهان والصدور .

ثم تفرع عن علم التفسير علومه الأخرى ، عند ما تکثر أرباب الاختصاص في الدراسات العربية والاسلامية .

فالفهاء والأصوليون عنوا منها بعلم النسخ والنسخ ، وعلماء التفسير

(١) تفسير ابن كثير : ٤٤ .

(١٢)

و فكر و ابتكار ، إنما قامت بتأثیر القرآن وعلى ضوئه ، ولا ينافي ذلك ما نعلمه جميعاً من كيفية تسلسل الأحداث و ارتباط الأمور بعضها ، إنما المهم أن تعلم أنه لو لا القرآن لما كانت هذه المكتبة العربية التي ترفع الرأس بها اليوم عالياً وذلك هو معنى قولنا : القرآن يحتوى على علوم كثيرة جداً ، وهو معنى قول الزركشى الساق : كل علم من العلوم منزع من القرآن .

«علوم القرآن» ، اصطلاح خاص :

ثم إن هذه الكلمة أصبحت تطلق على طائفة معينة من الأبحاث المهمة المتعلقة بالقرآن تعلقاً مباشراً و قريباً ، كتفسيره و ناسخه و منسوخه ، و مكيه ومدنیه ، و حكمه و متشابهه ، و قراءاته ، وذلك لأن كلاً من هذه الأبحاث قد دار حوله كلام كثير ، واستلزم فهمه معرفة دقيقة لضبطه و تحديده ، وألفت فيه الكتب المستقلة ، فتحولت المعرفة بذلك إلى علم ، كما يقول ابن خلدون (١) . فالتفسير إذاً فن مستقل برأسه ، يقوم على أسس و مقومات و شرط ، والناسخ والنسوخ في القرآن أيضاً فن خاص يقوم على دراسة معينة و أهمية خاصة . والمحكم والمتشابه كذلك ... و هلم جراً .

ثم لما كثرت تأليف العلماء في هذه الفنون ، وأطلقوا على جملتها اسم «علوم القرآن» ، وتكرر هذا الاسم و تداوله الباحثون والكتابون ، أصبح هذا الاطلاق عالياً على هذه الطائفة من علوم القرآن وأبحاثه ، وأصبحت هذه الطائفة من الأبحاث عالياً مستقلة برأسه .

كيف دخل العربُ التاريخ؟

فضيلة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى

[أقى سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى كلمة في حلقة عقدت في المكتبة العامة في دبي (اتحاد إمارات الخليج) ليلة الثلاثاء ١٥ / ٢٨ / ١٣٩٤ الموافق ١٩٧٤ م، حضرها عدد كبير من أعيان الدين (دبي و الشارقة) والأستاذ الكبير و رجال التربية و الثقافة و العلماء.

و تأثيث الكلمة باستحسان و قبول عظيمين و مجلت ، ولكن - مع الأسف - لم نحصل على الشريط المسجل ، فطلبنا من صاحب الكلمة أن يسجلها فأتمى هذه السطور في ضوء الكلمة التي كان قد أرجحها ، و جاءت هذه المقالة على أساس الفكرة التي تدور حولها المحاضرة مع زيادات ذات قيمة كبيرة نشرها هنا شاكرين [التحرير] .

و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون (١).

إن دخول شعب في التاريخ - أيها السادة و الأخوان - ليس بالأمر البسيط ، إنه حادث يحسب له حساب كبير ، فقد نظر شعوب كثيرة غبية (١) سورة الزخرف ٤٤ .

فسر ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدى ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير ولم يمحك سواء ، «الذكر» في هذه الآية بالشرف ، فقالوا معناه لشرف لك و لقومك . (تفسير ابن كثير)

و الكلام اهتموا من ذلك بعلم المحكم و الشابة و القراءات ، و علماء العربية انصرفوا إلى مباحث الإعجاز و الأسلوب و علم إعراب القرآن ... وهم جرأ . ولا شك أن هذه الفنون لم تظهر في حقبة واحدة من الزمن ، وإنما ظهرت متتابعة ، إلا أنها تكاملت علوماً خلال القرنين : الثاني و الثالث .

أما إطلاق لفظ (علوم القرآن) اصطلاحاً على هذه العلوم القرآنية ، فإن البعض يحسب أن الإمام الشافعى هو أول من سير هذا الاصطلاح ، و ذلك أنه حينها جئ به إلى الرشيد - عند ما اتهم بالتشيع - سأله الرشيد : كيف علوك يا شافعى بكتاب الله ؟ فقال الشافعى : عن أى كتاب من كتب الله تسانى يا أمير المؤمنين فإن الله قد أنزل كتبًا كثيرة ، قال الرشيد : قد أحسنـت .

لكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على محمد ﷺ ، فقال الشافعى ، إن القرآن علوماً كثيرة فهو تعالى عن محكمه و مشابهه ، أو عن تقدمه و تأخيره أو ناسخه و منسوخه ؟

وأغلب الظن أن الكلمة إنما أصبحت اصطلاحاً ، بتداول المؤلفين لها ، وجعلها اسمًا على مباحثهم المتعلقة بالقرآن ، وأيًّا كان الأمر فإن الخطب في ذلك يسير و هو عالاً يتعلق لما به غرض كبير .



ربيع الثاني ١٣٩٤هـ

جبارين، لا يدینون بعدها المساواة البشرية، ولا يحملون احتراماً للإنسانية، وقد كان الرومان أنفسهم يعتقدون أنهم خلقوه بيسودوا و يحكموا ، وأن الشعوب الأخرى خلقت لتعطى و تخدم ، وكانوا يوزعون العالم كله بين « رومانين » و « برابرة »، فكانت الشعوب المحكومة تتحمّل الفرص للتخلص منهم ، وتسرب الوهن على مدى الأيام إلى الجهاز الإداري ، والطبقة الحاكمة ، و اشتد تذمر المحكومين فحدثت ثورات إثر ثورات ، و انتشرت الأطراف ، و ساد الاضطراب ، فتحررت بلاد كثيرة و استقلت ولايات ، واعتبر أهلها ذلك تحراً من النير الأجنبي ، والحكم الاستبدادي ، وحسبت نفسها سعيدة متصرة لما خرجت من حكمهم .

والمثل الثاني هو الفاتح الشهير الذي نال من الشهرة العالمية قسطاً لم ينه فانع آخر ، و دوى له العالم هو الاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وقد نهض من أثينا يدوخ العالم و يفتح البلاد ، و يخضع الشعوب والأمم ، و يثأر العروش ، و يدوس التيجان ، و يجعل القرى والمدن خاوية على عروشها ، بسودها الظلام والوحشة ، وكان تفسيراً لما جاء في القرآن في وصف الملك : « إن الملك إذا دخلوا قرينة أفسدوها وجعلوا أعزها أهلها أذلة (١) » ، ولكنه كان كما صفة مرت بالبلاد والعباد ، فأطافلت الزيران وأختب المصايف ، وخلعت القلوب ، وأرعبت النفوس ، ثم هدأت و غابت كل شيء ، و عادت الشعوب و البلاد إلى ما كانت عليه ، ولم تذكره الأمم المفتوحة بالخير ، ولم تحفظ له بدأ ، فإنه لم ينهض في صالح العباد والبلاد ، وإنما قام ليرضى شهوة الفتح و الغزو ، و يثبت قوته الحربية ، و قيادته العسكرية ، و كان كلاعب رياضي

(١) سورة التحليل : ٢٥.

بالمواهب و الطاقات ، زاخرة بالحياة و النشاط ، منطوية على نفسها ، منعزلة عن العالم ، مغمورة مطحورة قرونًا كثيرة وآلافاً من السنين لا يغيرها التاريخ أهتماماً ، ولا يلق لها بالا ، والتاريخ صيرفي حاذق لا يقبل إلا من وفي بشرطه و ربح في ميزانه ، و هو جاد غير هازل ، مشغول غير عاطل ، ضئيل ، شحيح ، لا يفتح صدره ، ولا يفسح المجال إلا من أفقته بصلاحيته و غناه ، أو أرغمه على الاهتمام بشأنه ، بقوته و انتصاراته ، وشق طريقه إلى الأمام ، و احتل الصدارة أو الزعامة ، في مصاف الشعوب والأمم ، و على مسرح العالم .

و إذا استعرضنا التاريخ استعراضاً شاملاً وجدنا أن هناك مداخل ثلاثة تدخل منها الشعوب والأمم التاريخ ، و تفرض على المؤرخين و المؤلفين التدوين بشأنها و تدوين أخبارها ، و الاعتراف بفضالها ، وتحجز لنفسها مكاناً خاصاً . المدخل الأول : و هو مدخل عام واسع ، دخل منه أكثر الشعوب والأمم التاريخ ، هو مدخل الغزو و الفتح ، والاستيلاء و الحكم ، و خير شمال لهذا الفرع من الدخول ، و أعظمها شهرة ، الروم ، فقد استولوا في الزمن السابق بفروعتهم النادرة ، و قوتهم الحربية ، وصلاحيتهم القيادية ، على رقعة واسعة من العالم القديم ، وأسسوا إمبراطورية من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ ، وعرفوا بقوة الادارة والتنظيم ، وقيادة الجيوش و سن القوانين ، و بقوا مدة طويلة يحكمون عدة شعوب وعدة ولايات في القارات الثلاث ، أوروبا ، و آسيا ، وأفريقيا ، وضبطوا البلاد ضبطاً محكماً ، وحكموا بيد من حديد ، ولكن الواقع أن الشعوب التي كانوا يحكمونها لم تفتح صدرها لهم ، و لم تخبوهم قط ، بل بقيت تنظر إليهم كمستعمرات و فاتحات ، و حكم

ربيع الثاني ١٣٩٤

الأذكى" و العقلاء ، و ما جاء بالإنجليز إلى الهند غرض سام ، و لا دعوة دينية أو خلقية ، ولا رحمة بالانسانية ، إنما دفعهم الجشع الأرضي والاستغلال المادي .

و كانت القدر تغلى ، والبركان يريد أن ينفجر ، وكانت ثورة ١٨٥٧م، وأخفقت لأسابيب يطول شرحها ، ولكن البلاد لم تهدأ و الفكرة لم تنت ، والشرارة كامنة في الرماد ، وأثبتت البلاد كراهيتها للحاكم الأجنبي ، و قويت حركة التحرير و الجلاء ، و نادى الزعماء بمقاطعة البضائع الانجليزية الأجنبية ، و عدم التعاون مع الحكومة ، و مقاطعة كل ما يتصل بالإنجليز ، و يمت إليهم بصلة ، من شعائر ، و مدارس ، و حضارة و ثقافة ، واستفحلت هذه الحركة و انطلقت كوجه عارمة تكتسح كل ما يعرضها في الطريق ، وأصبحت البلاد شعلة من محظ و مقت حتى جلا الانجليز و تحركت البلاد في ١٩٤٧م ، وتلا ذلك اتجاه إلى تحرير البلاد من جميع آثار الاستعمار الانجليزي ، و قامت دعوة إلى التحرر من الاستعمار اللغوي و المثقافي بعد ما تحركت البلاد من الاستعمار الاقتصادي و السياسي ، وإحلال اللغة الوطنية محل اللغة الانجليزية الأجنبية ، و تناهى زعماء هذه الحركة ما كان الانجليزية من فضل في إقامة الوحدة الفكرية و اللغوية ونشوء الوعي و اليقظة في البلاد ، و إن كانت هذه الآية لم تتحقق ولا تزال اللغة الانجليزية منتشرة سائدة في البرلمان و الصحافة ، و دوائر التعليم ، ولكن اللغة الوطنية أصبحت اللغة الرسمية ، و أداء التعليم ، وكل ذلك لأنه لم تكن بين الشعب واللغة الانجليزية صلة دينية ، و لا عاطفية ، و ليست لها جذور في نفوس الشعب و عقائده و مشاعره و تاريخه ، و كل ما كان هذا شأنه كان سطحياً عابراً ، و أجنياً طارئاً .

Maher ، همه الوحيد أن يثبت تفوقه على القرآن ، و يسجل " الرقم القياسي " فكان ذلك .

و مثل الثالث القريب ، الانجليز ، فقد دخلوا الهند و استولوا عليها ، و بسطوا فيها الأمن و الاستقرار ، و قضوا على الفوضى و الاضطراب ، و أحسنوا تنظيم الادارة ، وأنشأوا الشوارع ، و أقاموا الجسور ، وأسسوا خط الحديد ، وأقاموا نظام البريد ، وقاموا بمشاريع عمرانية بناية عملاقة ، و عرفت بهم هذه البلاد التي تأخرت عن ركب الحياة ، و عاشت في عزلة عن العالم ، العلوم الحديثة ، والصناعات الجديدة ، والوسائل العصرية ، و بسطوا شبكة دقيقة واسعة من المعاهد و المدارس و الجامعات ، و قاموا باصلاحات كثيرة ، و تعرفت بهم البلاد لأول مرة بالحياة السياسية ، و النظام البرلماني ، و الصحافة ، و كان كل ذلك كفيلاً بأن تحبهم البلاد ، و تعرف لهم الفضل ، و تشكرهم على النهضة بالبلاد و ترقيتها .

و لكن كان الأمر بالعكس ، فلم تفتح لهم صدرها ، ولم توهم حبها أبداً ، باستثناء طبقة مرتزقة ، أو الحاضرين لمصالح سياسية ، و لم يزاوا بنظرهن إليهم كجانب مستعمرين ، و مستولين غاصبين ، و قد طمس على جميع مآثرهم و أعمالهم الخيرية ، عدم إخلاصهم للبلاد و الشعب ، فلم تكن لهم غاية إلا بسط النفوذ ، والاستفادة من خيرات البلاد ، وخدمة مصالح بريطانيا العظمى السياسية و الاقتصادية ، و تأسيس مملكة واسعة لا تغرب فيها الشمس ، و مراحة الشعوب الأوروبية المنافسة ، و إثبات تفوقهم عليها ، و كانوا كالاسفنج يتشرب الماء في مكان و يصبه في مكان آخر ، يتشربه في الهند و يصبه في جزر بريطانيا ، و عدم الاخلاص لا يخفى بل يعرفه الأغبياء و البسطاء فضلاً عن

و ما يستحق التسجيل أن معظم قادة حركة التحرير في الهند ، هم الذين رضعوا بلبان الثقافة الانجليزية وآدابها ، و كانوا أشد الناس اتصالا بالانجليز ، وأعظمهم معرفة بهم ، وقد عاشوا في بلادهم و جامعاتهم ، وآدابهم ، وعاداتهم مدة طويلة ، فلم تزدهم هذه المعرفة ولم تزدهم هذه الكراهة للانجليز ، و شكوا في نياتهم و إخلاصهم ، و علما بما طبعوا عليه من كبريات ، و عدم المساواة و المغالاة في القومية و العنصرية ، فقدادوا حركة التحرير و الثورة و حلوا لواء الحركة الوطنية ، و واصلوا الكفاح حتى تحررت البلاد و جلا الانجليز .

والدخل الثاني - إليها السادة - الذي دخلت به بعض الشعوب التاريخ هو العبرية الفنية ، و الذكاء الباهر ، و وضع علوم جديدة ، وقيادة العقل البشري ، وهذا هو المدخل الذي دخلت به يونان التاريخ الانساني ، واستولت على مشارق الأجيال ، و تفكيرها و ثقافتها ، و بقيت تقود العالم في ميدان العلم و الفكر قرونًا عديدة ، فقد نبغ في أرضها الخصبة فلاسفة و رياضيون ، و فلكيون ، و أطباء ، من الطراز الأول ، و وضعوا قواعد و أساساً لعلوم جديدة ، و اخترعوا علوماً كثيرة تجلت فيها عبقريةهم ، و استطاعت يونان بفضلهم أن تكون زعيمة العلم و الفكر، ورائد البحث ، ورمن التور والابتكار و الابداع لمدة طويلة ، و خضع لها العالم فكريأ و علمياً ، يردد صداتها، يتغنى باسمها و علماها .

و استمر ذلك حتى نشأت الأندلس الاسلامية ، و نبغ علماء الاسلام في الشرق و الغرب ينقضون كثيراً مما أيرمه العلماً الاغريق ، و يزيدون في ثروة العلم و الفكر الانساني ، و يقومون بتجارب جديدة في مجال العلوم

التطبيقية و الكيمياوية و الفلكية ، و وصلت إلى أوروبا فأنارت فكرها ، و أخرجتها من جودها و ضيقها و تعصبيها ، و بذلك البذور الأولى للنهضة العلمية الجديدة .

ثم جاء عصر النهضة الفكرية العلمية الاوربية التي تسمى النهضة الثانية (Renaissance) و قامت أوروبا برحلة جديدة في ميدان العلم و التجربة ، ففتحت فتوحات في العلم و الاكتشاف ، أزالت دهشة الفتح اليوناني ، و قضت على سيطرتها العقلية و زعامتها الفكرية ، و ظهر خطأ اليونانيين في كثير من نظرياتهم ، و تراجع فكرهم ، و مقرراتهم العلمية ، و ظهر جهلهم و خرافية كثير مما كان يعتبر آخر ما وصل إليه العقل البشري ، و انتهى إليه العلم الانساني ، و بدت تحقيقات بطليموس ، و فيثاغورث ، وأقليدس ، و ديوجانس ، و أفلاطون ، و أرسطو ، و بقراط ، و جالينوس ، التي سحر بها العالم القديم و افتن بها ، أمام الفلسفة الحديثة ، و علم الفلك الجديد ، و العلوم الرياضية و الهندسية ، و الطب ، و علم الكيمياء ، و الصيدلة ، التي توصل إليها العلماء في أوروبا في أواسط القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، كمحاولات بدائية في عالم العلم والتجربة ، وأصبحت كقطارة أمام البحر الزاخر ، و هذه سنة الله في خلقه و نظام المكون و طبيعة الأشياء ، يزرم القوى الضعيف ، و ينسخ الجديد القديم ، و يحل المقيد الجديد محل العتيق البالي و فاما الزيـد فذهب حفاء و أما ما يقع الناس فيمكث في الأرض (١) .

ولم تدن الشعوب الانسانية لليونان في زمن من الأزمان بالحب والعاطفة، و الولاء و الاخلاص ، و لم تحاول هي نفسها و لم تدع إليه ، فأنما كانت

(١) سورة الرعد: ٢٠.

ربيع الثاني ١٣٩٤

كالشلال ، وتجري كلامه السلس ، وكانت لهم معتقدات ومذهبات أولعوا بها ، و الشعر الكثير والحكمة الرائعة ، ولكن كل ذلك كان لا يكفيهم للدخول في التاريخ ، واحتلال الصدارة أو الزعامة في منتدى العالم .

لقد عاشوا قرونًا كثيرة في هذه العزلة وفي هذا الانطواء ، وفي هذا المحدود ، و كان يمكن أن يعيشوا قرونًا أخرى في هذا الوضع ، ولكن الله أراد غير ذلك ، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم « يتسلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١) » ، و أكرهم بالإيمان به ، والصدق له ، والخلاص لرسالته ودعوته ، والنفاق في سبلها ، فتجبردوا عن كل ما ينافيهما ، واستأنفوا حياة جديدة ، و كانوا ولدوا في الإسلام ولادة جديدة .

وكانت الرسالة التي كانوا يحملونها رسالة التوحيد النقي ، والدين الخالص ، و رسالة الظهور ، و الأخلاق الفاضلة ، و رسالة العدل والمساوة ، و الرحمة و العطف ، و رسالة العلم و العقل ، وكانوا مخلصين في تبليغ هذه الرسالة ، لا يخذونها قنطرة للوصول إلى الحكم و الاستسلام على الشعوب و الأمم ، لا يخرجون الناس من حكم الإنسان إلى حكم الإنسان ، و من سيادة أمة إلى سيادة أمة أخرى ، بل يخرجون الناس كما قال أحد رسلهم في مجلس رسم أكبر قواد الفرس : « من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام (٢) » ، و كان دليلاً على ذلك أنهم كانوا يدعون إلى الإسلام أولاً فإذا أبي القوم دعوم إلى الجزية فإن أبوا

(١) سورة الجمعة : ٣ .

(٢) راجع ، البداية و النهاية ج ٧ ص ٤٠ .

رسالتها العلم و التجربة ، و السلية العقلية ، و إشاع غريرة البحث المودعة في الإنسان ، بل بالعكس من ذلك أثارت الشك و القلق ، و حب الجدل و الاضطراب الفكري ، فلم تتجاوز علاقة الشعوب باليونان العلاقة الفكرية ، و علاقة البحث و النقد ، و التقدير ، و الاعتراف بالفضل في ميدان الفكر و العلم ، لا تقترب به عاطفة قوية ، أو شعور عميق ، أو صلة مقدسة ، و كان ذلك شأن علماء اليونان أنفسهم فيما بينهم ، يتباخرون و يتناقشون ، و يبرمون و ينقضون ، و يهزأون و يسخرون في بعض الأحيان ، و لم تكن لفلسفتهم ولا لفهتم عقبة تحدهما ، أو شرارة تحافظ عليها ، أو كتاب مقدس يصونها ، لذلك انكمشت فاسفتهما ، و اندرست لغتهم ، و اندثرت آثارهم .

و آن لي أن أتحدث عن المدخل الذي دخل منه العرب التاريخ ، وهو أقوى مدخل وأعمقه ، وأكثره خلوداً وبقاء ، و لا خطر عليه في مكان أو زمان مهما تغيرت الظروف والأوضاع ، أو طال الأمد و بعد الزمان ، و هو مدخل الرسالة و المداية ، و الرحمة للإنسانية ، و الخدمة المخلصة ، المجردة عن الأغراض ، لقد بقى العرب قروناً وآلافاً من السنين منطويين على نفوسهم لا شأن لهم بالعالم ، و لا شأن للعالم بهم تتناهم الشعوب و الأمم حولهم ، و يتغاهلهم التاريخ ، و قد كانوا مسلحين بجميع الطاقات التي تجعل منهم أمة كرامة عظيمة ، تستطيع أن تمثل دوراً في تاريخ الغزو والفتح ، فقد فاقروا في الفروسية و الشجاعة ، و صناعة الحرب ، و كانت عندهم كثيرة من الأخلاق الفاضلة ، و خلال المرونة التي توجد عند الأمم الأصلية التي تكون على الفطرة ، و تعيش حياة البداوة و السذاجة ، و كانوا يحملون لغة ذات عصرية لغوية ، و ثروة واسعة ، و كانت عندهم قريبة شعرية تتدفق

ربيع الثاني ١٣٩٤

فارتني في أحضانهم ، المنبوذون ، والأشقياء ، والنجا إليهم الطريد الشريد ، وفضلوهم على بني ملتهم ، وأبناء جلدتهم ، والأخلاق لا يخفى ، كما لا يخفى عدم الأخلاق ، وقد بلغ بعض الشعوب المفتوحة جهساً للفاتح الرجمي ، ووالد الكريم أن أبدت عواطفها ومشاعرها في أشكال ومظاهر ، لا يقرها دين الفاتح ، ولا يرضاه القائد نفسه ، فقد سجل التاريخ أن أهل السندي البراهيم الوثنين الذين غزاهم محمد بن القاسم الشقفي ، وفتح بلادهم - ذلك الفتى المغوار الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره - هاموا بجهه حتى بعد شهادته ، أن نحتوا له تماثيل ، وذلك ما لا يوجد له نظير في تاريخ الغزو و الفتح . وقد جربت الأمم المفتوحة مثلاً جديداً للحكم ، لا عهد لها به ، تحكم فيه المعاير الخلقية و المبادي الفاضلة ، وتسود فيه المساواة ، و مبدأ تكافؤ الفرص ، واحترام الإنسانية ، بجميع أشكالها ، وأجناسها ، وألوانها ، وكان الحكام يؤفون بالعهد ، ويأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ، وينفذون حدود الله على الشريف و الوضيع ، و الحكم و المحكوم ، و يتناصفون بينهم و كان منهم من يؤثر جانب الهدایة على جانب الجبایة^(١) ، وقد شاهدت طرزاً جديداً فريداً للإنسانية لم تشاهده من قبل ، زراهة نفس ، وسمو نظر ، وعلوهمة ، ورقه شعور و قوه عاطفة ، وسلامة ذوق ، واسهانه بالخارف و المظاهر الجوفاء ، وتمرد على المادة ، قد انفردوا بالنظر والخبر ،

^(١) كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ، وقد شكا إليه ضعف مالية المملكة لاغفاء من كان يدخل في الإسلام عن الجزية ، وبحكم إن محمد^{صلوات الله عليه} قد بعث هادياً ، ولم يبعث جائياً . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم) .

حاربوا حتى لا تكون فتة و يكون الدين كلـه^{للله} (١) فاستقبلتهم الشعوب المستعبدة المستعمرة ، أو الأمم المضطهدة ، والأفراد الذين أسامت إليهم الأديان المحرفة و قسا عليهم المجتمع الظالم ، و ابْتَرَ أموالهم ، و شل عقولهم ، و حرثوا لهم الأحرار و الرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، كنقذين و دعاء و معلين ، و آباء مشفقيين ، و إخوان متحابين ، و استقبلتهم كفرقة الأسفاف الطبي ، و رجال المطافئ ، لا يعني المريض الجروح ، ولا المنكوب المفجوع الذي وقع في بيته الحريق بالبحث عن جنسائهم ، و العناية بلغتهم و لهجتهم ، إنما يعني بغايتهم و رسالتهم ، ثم رأوا منهم عطف الآباء و حنان الأمهات ، و المساواة التي لا نظير لها ، و البر و المواساة ،

(١) جاء في حديث طويل . أخرجه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبي مرفوعاً ، أن النبي صلوات الله عليه كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية كان ما يوصيه به و يأمره . أن يقول : إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاثة خصال أو خلال ، فأيتها ما أجابوك فاقبل منهم و كف عنهم إلى آخر الحديث .

و كانت أولى هذه الخصال الدعوة إلى الإسلام ، ثم الجزية ، ثم القتال . وقد ألغى الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز فتح سمرقند بعد ما مضى عليه سبع سنين ، لأن أهلها المشركين شكوا إليه أن قتيبة قد استولى على المدينة ، واستعمى المسلمين فيها و لم يدعهم إلى الإسلام ، و لم يخربهم بين الجزية و القتال ، و أمر بخروج المسلمين من البلد و العمل بحكم الشريعة من جديد ، و أسلم معظم أهل البلد . اقرأ القصة بطولها في فتوح البلدان للبلاذري ص ١٢٢ طبع بريل ١٨٦٦ م .

وأذان السحر (١) .

و تخلص ظل العرب من السندي و الهند سريعاً ، و دخل البلاد شعوب و سلالات إسلامية لا تتكلم اللغة العربية ، و أسمت حكومات دامت ثمانية قرون ، ولكن بقي للغة العربية سلطان على النفوس والقلوب يتدارسها و يبرع فيها و يحذقها آلاف من الناس في كل جيل ، ويؤثرها بالتأليف والتحقيق ، و يفضلونها على لغتهم التي نشأوا عليها ، وعلى لغات البلاد والأقاليم ، وتستمر حركة التأليف و التعلم و التحقيق قوية في اللغة العربية إلى يوم الناس هذا ، و تبلغ عنابة أهل الهند بها و زعامتهم فيها إلى أن ينبع فيها ، مثل العلامة حسن بن محمد الصغاني اللاهوري (م ٥٦٥هـ) الذي يمؤلف معجماً كالعبد الزاهر ، و السيد مرتضى البشكراوي المشهور بالزيدي (م ١٢٠٥هـ) الذي يتناول القاموس المحيط للزبير و زبادى بالشرح و التحقيق ، فيضع موسوعة لغوية في عشرة مجلدات كبار وفي خمسة آلاف صفحة ، يسمى بها بناج العروس في شرح القاموس و لا نعرف أن معجماً شرح في أي لغة من لغات العالم بهذه الدقة و التفصيل ، هذا عدا كتب تعد بالآلاف ألفها علماء الهند في اللغة العربية في مقاصد دينية ، و موضوعات علمية (٢) ، و في مصطلحات العلوم ، و غريب

(١) هذا التعبير مقتبس من منظومة للشاعر محمد إقبال ، قالها على لسان طارق بن زياد حين دعا المسلمين قبل أن تنشب الحرب في الأندلس ، و المقصود أن العرب كانوا يمتازون بعلم جديد ، و إشراق جديد ، و شعار جديد ، هو شعار التوحيد الذي كان يدوى في الفضاء ، و الناس نائم غافلون . (روائع إقبال ، دعاء طارق ، ص ١٤٤)

(٢) ليرجع إلى كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للسيد عبد الحفيظ

ربيع الثاني ١٣٩٤

الحديث ، و شروح دواوين السنة .

ولم يفكّر أهل الهند قط في التحرر من سلطان اللغة العربية ، و الاستغاثة بها ، و لم يعتبروا ذلك قط أثراً من آثار الاستعمار العربي القديم ، و لم ينظروا إليها في حين من الأحيان كلغة أجنبية احتلت البلاد و العقول ، و دواوين التعليم و مجال التأليف ، بل بالعكس من ذلك و رغم الأحداث و الانقلابات ظلوا عاضين عليها بالنواخذة ، دائمين لها بالحب والولاء ، والاجلال والتقدير ، و هم يواجهون أدق مشكلة من مشكلات اللغات التي تواجهها أمّة ، يعشقون كلماتها و يتبرّكون بتعلّمها و تعليمها ، و يذافبون في خدمتها و نشرها ، و يوجد منهم اهتمام بها لا يضارعه اهتمام لأيّ أمّة بأيّ لغة ، وذلك كله لأنّ هذه اللغة هي اللغة التي نزل بها القرآن ، و دونت فيها الشريعة ، و تكلم بها الرسول وأصحابه ، و اقتربت بها عقيدة ، و عاطفة دينية ، فسلطانها لا يتحدى ، و مكانتها من القلوب لا يزاحم ، و جذورها في النفوس لا تقطع ، حتى إنّ اللغة الفارسية التي بقىت لغة الديوان ، و لغة الرسائل و الإنشاء ألف سنة تقريباً ، وكانت لغة فاتحة الهند ، و مؤسسي الحكومات ، من غزنوية ، و غورية ، و أفغانية ، و مغولية ، و نبغ فيها شعراً سلم لهم شعراً إيران بالاجادة و الامامة ، و سرت بشعرهم الركبان اعتراها من الضعف ، و انصرافهم عنها ، و زهد الناس فيها ، حتى خيف عليها من الانقضاض في الهند ، ولو لا عنابة الجامعات الهندية بها ، و إنشاء قسم خاص لتدريسيها ، و الامتحان فيها ، لطوى سلطتها ، رجباً مصباحها هنائياً ، لأنّها لم تفتّن بعقيدة و شريعة ، و لم تقم على عاطفة

الحسني (م ١٣٤١هـ) للاطلاع على سعة الحركة العلمية التأليفية في اللغة العربية في الهند ، و مخانتها ، طبع الجمع العلمي العربي بدمشق .

دينية عميقه .

و ظهر وفاء المسلمين في الهند للغة العربية ، و الثقافة الإسلامية ، و شدة تعليق قلوبهم بكل ما يتصل بالعرب الذين حملوا مشعل الإسلام ، و بجزرية العرب و الحرميين الشريفين ، و مهد الإسلام و هبوط الوحي ظهوراً ، كان موضع دهشة الغلاة من القومين في الهند ، و موضوع نقدتهم و لومهم ، و رأى بعضهم أن ذلك ينافي الاخلاص للوطن و الحماس له ، و إشاره على كل شيء ، و لكن المسلمين يواجهون هذا النقد و الملام في شجاعة و إيمان ، و ثقة و اعتزاز ، و لا يزيدهم ذلك إلا قوة و صموداً ، و يرون أنه حقاً من حقوق العرب الذين نالوا بهم سعادة الدنيا والآخرة ، و خرجوا بفضل دعوتهم وإخلاصهم وجهادهم من الجاهلية إلى الإسلام ، ومن عبادة الأصنام والأئم ، و الحيوانات و الأشجار ، إلى عبادة الله وحده (١) .

و ظل هذا الصفاه قائماً ، و دامت هذه الثقة لا يضعفها شيء ما دام العرب مخلصين للإسلام متجردين له معندين بخدمة الإنسانية ، والعطف عليها ، لا يعدلون بالقومية الإسلامية قومية ، و برسالة الإسلام و الدعوة إليه رسالة و دعوة ، ولا يتحمسون لغير الإسلام ، فلما تغيرت أخلاقهم في العهد الأخير ،

(١) يقول الدكتور محمد إقبال مخاطباً للرسول عليه ملكه ، « إنـاـ وإن ولدنا في بلاد عريقة في الوثنية - رفضنا أن نعبد الشور والبقر ، و أيدينا أن نطمئن رومنا أمام الكهان و السدنة ، فلم نخر بين يدي الآلهة القديمة ، و لم نطف حول بلاط الملوك و قصور الأمراء ، و الفضل في كل ذلك يرجع إلى دينك الذي جئت به ، وإلى جهادك الذي قمت به » . (روائع إقبال ص ١٨٧/١٨٨)

رمضان الثاني ١٣٩٤

و قامت فيهم الدعوة إلى القومية العربية وتبوا و احتضنوا دعوات أخرى ، وتحمسوا لها تزعزعت ثقة الشعوب غير العربية بهم وتغيرت نظرتها ونظرة العالم إليهم ، وبدأت هذه الشعوب تذكر قومياتها وفاسقاتها وحضارتها ، و أمجادها و لغاتها التي تناستها ، واستهانت بها ، و آثرت عليها القومية الإسلامية ، و الحضارة الإسلامية العربية ، وأمجاد الإسلام ، وللغة العربية ، و توجه إليها طعن زعماء القوميات المحلية و تهكموا بها ، وصاروا يتسللون : لماذا لا يسوغ لبناء الوطن أن يرجعوا إلى قوميتهم وحضارتهم حين بدأ العرب يتغدون بقوميتهم ، ويفكرون في العودة إلى حضارتهم الجاهلية وأمجادهم القديمة ، وأبطالهم القدامى الذين حارب كثير منهم الإسلام ، ودافع عن الجاهلية دفاعاً مستعيناً ، وصعب لاتهم-كين بالاسلام في هذه البلاد أن يقنعوا هؤلاء المتعارضين ويقطعوا أنسنتهم ، و إن كان أولئك الذين شرح الله صدورهم للإسلام لا يزالون مصممين على التمسك بالاسلام ، عاصين عليه بالنواخذ ، مقدرين نعمته ، جمود الناس هذه النعمة أو قدرواها ، و آمنوا بالاسلام أو كفروا به .

وأخيراً فيعرف العرب أنهم ما دخلوا التاريخ إلا عن طريق الرسالة الإسلامية ، و الدعوة الإسلامية ، ولم يغرس الله حبهم في النفوس والقلوب ، ولم تنشر لغتهم هذا الانتشار الواسع ، ولم يكتب لها الخلود والبقاء ، ولم تدون فيها هذه العلوم الكثيرة ، ولم تكون فيها هذه المكتبة الضخمة التي كان قسط منها العجم فيها أعظم من قسط العرب أنفسهم إلا بفضل القرآن ، و الشريعة الإسلامية ، و لا يعود العرب إلى مركزهم الأول ، ولا يدخلون التاريخ مرة ثانية إلا من هذا المدخل الذي دخلوا منه أول مرة .

« والله الأمر من قبل ومن بعد و يومذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

صفوة الآثار والمقاصد من تفسير سورة البقرة :

ثلاثة أصناف من البشر

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

هذان صنفان من البشر ، صنف مؤمن ابتدأ الله ذكر أوصافه في أول سورة البقرة وآخرها على سبيل الاجمال وفصلاها في سائر سور القرآن ، ونصف كافر أجل الله وصفه في آيتين من هذه السورة وفصله في سور آخرى من القرآن ، وبقى الصنف الثالث وهو المنافقون وقد أكثر الله في وحيه المبارك من ذكر أوصافهم في أغلب القرآن لخطورتهم على كل مجتمع إسلامى فافتضت حكمة الله كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبيان دفائن نفوسهم وقد اشتملت أوائل هذه السورة على ذكر ركائز خبيثهم في اثنى عشرة آية حيث قال :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ،
يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، قَالَ قَاتِلُهُ ،
هَذِهِ الْآيَةُ نَعْتُ الْمُنَافِقِ ، يَعْرَفُ بِلِسَانِهِ وَيُنَكِّرُ بِقَلْبِهِ وَيَصْدِقُ بِلِسَانِهِ وَيَكْذِبُ
بِعَمَلِهِ ، وَيَصْبِحُ عَلَى حَالٍ وَيَمْسِي عَلَى غَيْرِهِ ، وَيُنَكِّفُ تَكْفِاً لِكُفَّاءِ السَّفِينةِ كَمَا هُبِتَ
رَبْحٌ هُبَّ مَعَهَا ، انتهى .

إن حقيقة المنافقين كما صورها الله ما يشهد به واقعهم في كل عصر وبلد هي صورة مخالفة لصورة المؤمن الحقيقى والكافر الواضح الصرىح ، فإن الكفرة على اختلاف مللهم ونحاجهم كفراً مكروهاً واضح صريح متسم بالشجاعة ومرارة العناد والمكابرة سواء من كان كفراً بشرك الوسائل والأنداد ، أو كفراً بشرك

الدّعوّة الإسلاميّة

- ثلاثة أصناف من البشر

- غرس روح الاقدام على القتال في سبيل الله

ربيع الثاني ١٣٩٤

خلاف ما يضمنونه في تلويهم و إنهم يخدعون الله والذين آمنوا ، باعترافهم الكاذب تزفوا إلى رسول الله ﷺ في وقته وإلى من بعده من ولادة المسلمين في كل زمان و مكان ليولوهم الثقة و ليطمئنوا عامة المؤمنين إليهم فلا يرتابون منهم ، وبهذا يطّلعون على أسرار المسلمين فينقلونها إلى الكفار من اليهود وأعوانهم أو يستفيدون منها لقضاء مآربهم الدينية ، هذه مخادعتهم للؤمنيين اعتبرها الله مخادعة له و لهم ، وهذا تفضيل كريم من الله سبحانه و تعالى تجده يكرره في وجه المبارك وهو حقيقة الصلة الكاملة بين الله و عباده المؤمنين إذ يجعل وصفهم وصفه دائماً و شأنهم شأنه ، فيعتبر الخداع لهم مخادعاً له والمدعى لهم عدواً له والمحارب لهم محارباً له إعلاماً منه سبحانه للؤمنيين برفعه مقامهم و علو شأنهم ومستواهم عنده وإن مقام الإيمان و المؤمنين أشرف المقامات وأعظمها وأكملها لتجسي نلوبهم بمحبته و الطمأنينة لوعده و الثقة بنصره بين أسلوب قرآنی جمع بين توضيح مقام المؤمنين عند الله و فضيحة أحوال المنافقين و كشفها لهم و التهديد الشديد المرعب للناافقين المحاوين خداع المؤمنين و إيهامهم ، ففي هذه الآية إعلام آخر للناافقين بأن معركتهم ليست مع المؤمنين فقط بل هي مع رب المؤمنين العليم الحكيم الفاجر الجبار فهم يتصدرون لحربه و يتعرضون لبطشه و نعمته بمحاربتهم الحسيبة .

والخداع من الخديعة وهي الحيلة والخبل والمكر لكونها تفعل في النساء ، والخداع موضع داخل البيت تختفي به المرأة أو تخفي فيه بعض الأشياء ، وخداع الرجل استجابة للخداع سواء عن شعور أو عن غير شعور و يعبر أيضاً عن الخداع بالفساد كما في الشواهد و يقصد به في هذه الآية الحيلة و ما في معناها .

(٢٢)

التعطيل كالمقلدة للجاهلية الأولى و الفراعنة أو كفره بالإنكار لله كالشيوخين أو بالاقراء على الله كأهل الكتاب المحرفين .
 وكل هؤلاء من النوع الثاني قد أراحو عموم صراحتهم و ظهور عداوتهم من في قلبه إيمان صحيح لكن مصيبة المسلمين و مداخل الشر إلى المسلمين شيئاً و اتضاح وجوب متابعتهم و مخالفتهم في الدين بحيث لا يجتمع إليهم أو يواليهم و شيئاً هي من النوع الثالث المرتدى زى الصديق و المتعلق بسانه الذي يظهر الإيمان و الاعتراف بالله و تقدس رسوله و القرآن و هو يحمل في قلبه من الغيظ لل المسلمين مالا يقل عن غيظ الكفار أو يزيد ، فهذا كالمرض الفاتك في جوف الجسم أو كالسرطان المستشرى فيه .

و هم وإن كانوا في الغالب من عليه القوم إما بعلهم المادي أو بالسدد إلا أنهم لا يملكون الشجاعة التي يحررون بها على مقاولة الدين بالإنكار الصحيح فيضطرهم الجن إلى إظهار خلاف حقيقتهم وإلى سلوك الحذفة بايقاع الدس و التشكيك في بعض التواحي وفي سير ولادة المسلمين ليشككوا العامة فيهم و ينتقصوا الدين بواسطتهم ، وهذا شئ أجراء أسلافهم مع رسول الله ﷺ أكبر وآل المسلمين بأمر ربهم جل و علا وهم في الحقيقة مطاييا اليهود في كل زمان و مكان منذ ظهورهم على عهد المصطفى ﷺ في المدينة إلى انتصارات الدنيا . فاليهود هم شياطينهم الأكبر و هم الذين يوجون رؤسائهم بأنواع الفتنة التي تناسب مع أوضاع كل مجتمع مسلم في كل عصر و زمان فلهذا فضحهم الله تعالى المؤمنين في سور كثيرة من وحيه المبارك متداً في سورة البقرة بهذه الآيات التي أبتدأنا بذكرها و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، فكذب الله مزاعهم و فضح أسرارهم مبيناً لهم يقولون بالستهم

(٢٢)

ربيع الثاني ١٣٩٤

فيكيد لهم بمنفعته لأعدائهم ، وأخرج ابن سعد عن حذيفة أنه قبل له ما النفاق ؟ قال أن يتكلم بالاسلام ولا يعمل به ، قال المحققون من المفسرين : إن تقديم الخبر في هذه الآية للشعار بأن المرض متخصص بها مبالغة في تعليق هذا الداء تلك القلوب لما كانوا عليه من شدة الحسد و فرط العداوة .

قالت : إن رؤسائهم في كل عصر و بلد يحشون تلوب اتباعهم بذلك في سائر مراحل التوجيه و أنواعه ، فالحرص على التزود من نعم الله المعنوية الروحية يحرص على حفظ جميع أوصاف الله للناافقين في وجهه و ينذرها ليطبق أحوال زمانه فينظر هل تتطبق على أوصاف المؤمنين المصدقين للأقوال بالأعمال المرضية لله ، أو تتطبق على أوصاف المناافقين الشاردين عن مراد الله في كل شيء والمخالفين لسنة نبيه ﷺ في كل شيء ولا سيما من يتندق بدعوى الاصلاح ويظهر الانقاد على غيره ، فإنه أنعم علينا بشر أوصاف كل صفت من عيده ليظهر لنا كلا على حقيقته دون التباس ، فيجب أن نحمل هذه النعمة نصب أعيننا وأن لا نغفل عنها أبداً فينزلنا عدو يظهر في ثوب صديق ، وقوله تعالى (فزادهم الله مرضًا) زيادة مرضهم يحصل بعدة أمور : أحدها أنه كما مرض قلوبهم بالشك و ورود الشبهات عليهم في أصل الدين فإن المرض يزداد كلما طرقهم خبر عن فروعه و أحكامه فيشرقوها بها و يتجدد لها شبهات في قلوبهم تزيد من مرضها ، و الثاني : إن زيادة المرض بزيادة ما ينزل الله من وحده بفتحيتهم و تقسيح سلوكهم .

و الثالث : هو سنة الله في كون المرضي إذا لم يعالج بزداد و يجاح مرض آخر ، والمرض المعنوي مرض القلب أبغض زيادة في الفتك من المرض المحسى فإن الشبهات يجر بعضها بعضاً حتى يتعد صاحبها ، و يكون في مركب

و خداع المنافقين للمؤمنين الذي اعتبره الله خداعاً له هو باظهارهم الإيمان و المحجة واستبطان الكفر و العداوة ، و خداعاً لهم هو إجراء أحكام الاسلام و الله عنهم بقوله « و ما يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون » ، فذلك لأن الخداع الظاهر عليهم بأمر الله و إن كانوا يعلمون بعضهم أو بعض رؤسائهم ، أما إخبار الله عنهم بقوله « و ما يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون » ، فذلك لأن الخداع يكون مع من لا يعرف السرائر ، و أما الله الذي يعلم السرائر فالمخادع له إنما يكون نفسه دون شعور بذلك فكل من الخداع لخادع على علم فقد خدعاً وأصبح مخادع نفسه لا ينجح إلا في أنفسهم باهلاً كثاً غيظاً وكذا وتحسيراً بأبوع الحسرات و إبراهيم الوبال والنkal يكونها تخطى في ركام من ظلمات الحقد و الغواية و تضليل الرؤساء بشئ الأوهام و اجتماع أسباب الهملة من الشفاق بينهم و انعكاس تكالبوا على الحكم و الماءدة فقتل بعضهم بعضاً خففهم في الدنيا شقاء و تعasse و سواد تاريخ و حظهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار فشرور خداعهم تعود عليهم في الدنيا و الآخرة .

و السبب في تقادهم و إصرارهم على النفاق غالباً هو ما أخبرنا الله عنه أن « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا » ، و المرض لغة السقم الذي هو تقيض الصحة يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال و يوجب الخلل في أفعاله أو أحاسيسه فاستعير هنا لكتاب إذا عرضت له شكوك وشبهات تخرجه عن اليقين و الطمأنينة فينالشى دين صاحبه أو يضعف أو لا يكون فيه من الأصل قول للحق و لكنه يجهن عن إظهار الكفر فينافق باظهار الإيمان ليدفع عن نفسه القتل و الأسر الجزية و ينال ما بناله المسلمين المؤمنون و يعلم أسرارهم

نفس وقلق نفسى وحقد ملتهب فاتك به ، فنكاً أن المؤمنين يزدادون إيماناً بقوه إخلاصهم ويقينهم فالمافقون يزدادون ربياً وحقداً وغيظاً يزيد من مرض قلوبهم (ولهم عذاب أليم) والآليم هو العذاب المستمر الموجع (بما كانوا يكذبون) فقد استحقوا ذلك العذاب لقبح أفعالهم وذميم أخلاقهم من اظهار دعوى الایمان مع إبطان الكفر والتکذیب ، وفي قوله (يکذبون) إخبار بالاستمرار التجددى لکذبهم مدى الدهر ، و هذه الآية من أوضح الدلائل على تکذیب الله للزاعمين أن الله لا يعذب من عباده إلا من كفر به عناداً بعد علمه بوحدانيته و بعد تقرر صحة ما عاند ربه عليه من توحیده واقرار بكتبه و رسالته عنده - لأن الله قد أخبر عن الذين وصفهم بالنفاق ومخادعتهم له ويلامين - بأئمهم لا يشعرون أنهم مبطلون فيما هم عليه من الباطل وأئمهم بخداعهم مخدوعون ، وأن لهم عذاباً أليماً بما كانوا يکذبون بزعمهم الایمان وهم على الكفر مصرون .



غرس روح الاقدام على القتال في سبيل الله

[٢]

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

الحياة و الموت يد الله تعالى :

إن السبب الأول في الجبن هو خوف الموت ، ولا يسيطر هذا الخوف على الإنسان إلا حين يغشى عقله ونفسه ظلمات الجهل التي يتربى فيها المحروم من نور الایمان بالله تعالى ، فالایمان بالله تعالى وما يحتمله من وجوب التمسك بجميع تعاليمه تعالى يعصم الانسان من السير في طريق الانحراف و الضلال والزلل ، ويدفع إلى السير على الطريق المستقيم الذي أوضحته الله تعالى لعباده ، وأمرهم بالسير عليه ليهدوهم إلى سواه السبيل وإلى السعادة في الدنيا والآخرة ، و الایمان يصون العقل و النفس من الوساوس و الشكوك المدمرة للعلاقات البشرية ، التي تسيطر على العقول و النفوس إلا إذا ما كانت تعيش في ظلام الجهل ، نتيجة الحرمان من الایمان بالله تعالى ، ولا زال تلك الشكوك والwsaos ولا تخفي من النفوس والعقول إلا عندما يسطع فيها نور الایمان والمعرفة واليقين ، وبذلك توفر للانسان طاقات عظمى تدفعه للانطلاق في تحقيق أهدافه بأقصى ما عنده من جهود .

وما تقرره تعاليم الله تعالى وتحتم الایمان به إيماناً جازماً قاطعاً والتسليم به تسليناً مطلقاً دون أن يدخله أدنى شك أو ارتياح هو أن الله سبحانه وتعالى وحده الذي يده الموت و الحياة ، فهو سبحانه وتعالى الذي قرر الآجال وحددها و جعل لكل نفس كتاباً موجلاً إلى أجل مرسوم ، و قرر

ربيع الثاني ١٣٩٤

تعرض من يؤمن بعض الكتاب و يكفر ببعضه للخزي في الدنيا و للعذاب الشديد الدائم في الآخرة ثم لا يجد من ينصره و يخفف عنه ويلاته الشديدة التي يوقعها به ربها تعالى في الدنيا والآخرة وذلك لقوله تعالى : « أَفَقُوْمُونَ بِعْضُ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَإِنَّ جَزَاءَ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزْنَىٰ فِي حَيَاةِ الدِّينِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنِ الْعَمَلِ ». أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا ينضرون ، (سورة البقرة الآية ٨٥ و ٨٦) .

وإن إيمان المسلمين بأن الأجل المكتوب لا ينقص منه إقدام على القتال في سبيل الله ولا يزيد فيه شيئاً التقاус عن القتال أو المروب من الأعداء الذي يؤدي إلى غضب الله وعذابه ، هذا الإيمان قد فعل فعله العجيب في نفوس المؤمنين في ميادين القتال في سبيل الله ، ومن الحالات التي يذكر بها تاريخ الجihad الإسلامي والتي لا يمكن إحصاؤها ما روى عن (حجر بن عدى) الذي كان في عدد المجاهدين المسلمين الذين كانوا يقاتلون الفرس ، وقد حال بينهم وبين عدوهم نهر دجلة فوقفوا عنده ، فقال لهم . ما يمنعكم أن تبرروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة (يعني دجلة) . وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلاً ، ثم أفحى فرسه دجلة ، فلما أفحى أفحى الناس ، قال رآهم العدو ، قالوا : إن هؤلاء لا يعرفون الموت ، فهم يقتلون الموت دون أن يبالوا به ، فقذف الله الرعب في قلوب الأعداء فهربوا ، وانتصر المسلمون بمجرد إقدامهم على المخاطر التي لا يموت فيها إلا من انتهى أجله ، وفي ذلك ثوابه الأعظم و السعادة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة . وقد أثبتت وقائع الجihad الإسلامي التي لا يحصيها عدد و المشاهدة لهذه

أنه لن تموت نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم ، وذلك لقوله تعالى : « إِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ » (سورة آل عمران الآية ١٤٥) .

ففي هذه الآيات وفي غيرها يقرر سبحانه و تعالى لعباده أنه لا يموت أحد إلا بقدر الله ، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله ، وهذا قال تعالى : « كِتَابًا مُؤْجَلاً » .

وذلك كقوله تعالى : « وَمَا يَعْمَرُ مِنْ عَمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتابٍ » .

و كقوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طَينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجْلًا مُسْمَى عَذَابَهُ » ، (سورة الأنعام الآية ٢١) .

و كقوله تعالى : « وَلَكُلُّ أُمَّةٍ أَجْلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » ، (سورة الأعراف الآية ٣٤) .

فهذه الآيات وأمثالها من الآيات الأخرى تحرم على المسلم أن يكون جائناً و تغرس في نفسه الاقدام على القتال في سبيل الله ، وذلك لأن إيمانه بالله تعالى يحرم عليه أن يعتقد أن الاقدام على القتال ينقص من العمر وأن الاحجام عنه يزيد في الأجل الذي حددته الله سبحانه و تعالى إذ أن إيمانه بالله تعالى يحتم عليه أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الأجل المكتوب لكل إنسان لا ينقص منه ولا يزيد إلا بارادته تعالى ، والإيمان بالله تعالى يحتم على الم兹من أن يؤمن إيماناً مطلقاً بجميع ما جاء به الرسول محمد ﷺ عن ربه تعالى وإلا

ربيع الثاني ١٣٩٤

و كل موعد في الدنيا قريب ، وكل متع فيها قليل ، ولا عاصم من الله ولا
من يحول دون نفاذ مشيته سواء أراد الله تعالى بعباده سواء أم أراد بهم
رحمة ، ولا مولى لهم ولا نصير من دون الله تعالى ، يحميهم و ينفعهم من
قدر الله .

و على هذا فلابد من الاستسلام و الطاعة و الوفاء بالعهد مع الله في
السراء و الضراء ، و الاقدام على القتال في سبيله تعالى ، ورجع الأمر إليه
و التوكل الكامل عليه ، ثم يفعل الله ما يشاء .

لا حذر ولا حصن ينجي من الموت :

و قد قرر الله سبحانه و تعالى أن كل كان حتى صار إلى الموت حتماً
عاجلاً أو آجلاً ، ولا ينجو منه أى إنسان ولو كان في بروج حصينة منيعة
عالية رفيعة ، ولذلك فإن الإنسان لا محالة ميت سواء أجاد أم لم يجاد ،
و ذلك لأن له آجلاً محتوماً ، وقد قال الله تعالى ميناً ذلك «أينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» (سورة النساء الآية : ٧٨) .
كما قال تعالى : «كل من عليها فان» (سورة الرحمن الآية : ٢٦) .
كما قال أيضاً : «كل نفس ذائقه الموت» (سورة آل عمران الآية : ١٨٥)

وقال : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» (سورة الأنبياء الآية : ٣٤) .
و قد روى أنه لما حضرت خالد بن الوليد رضي الله عنه الوفاة ، قال :
لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا و فيه
ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم هأنذا أموت على فراشي كاميوت العير فلا نامت
أعين الجنان .

الظن بأن الجهاد سبب للهurt دلالة على تزعزع العقيدة :

(٤١)

الحالة أن الحرف والملح والحرص على الحياة والتخلص عن الجهد لا يطيل
أجله ، وأن الشجاعة والثبات والاقدام والوفاء لا تقص عمرأ ، فلا كان
الجبن ولا نامت أعين الجنان ، فال أجل المكتوب لا يتقص ولا يزيد إلا بمشيئة
الله تعالى ، و إن الذي يسبب الموت هو انتهاء الأجل الذي حدده الله تعالى
ولا سبب للهurt غير ذلك .

لا نجاة ترجى من الفرار من المعركة :
إن الإيمان بالله تعالى وبما أنزل على عبده محمد ﷺ يحتم على المسلم
الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه أدنى ريب وشك بأن الفرار من قتال العدو
لا يؤدي إلى النجاة من الموت أو من الإصابة بالأذى الذي كتبه الله على
الفارار ، وذلك لقوله سبحانه و تعالى الذي يصح به التصور الذي يدعوه إلى

الفارار ، بقوله تعالى :
«قل لمن ينفعكم الفرار إن فررتם من الموت أو القتل وإن لا تنتعون
إلا قليلاً ، قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم
رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولباً ولا نصيراً» (سورة الأحزاب
الآيات : ١٦ ، ١٧) .

تبين هاتان الآيتان أن قدر الله تعالى هو المسيطر على الأحداث والمصائر ،
يدفعها في الطريق المرسوم وينتهي بها إلى النهاية المحتومة ، و الموت أو القتل
قدر لا مفر من لقائه في موعده ، ولا يستقدم لحظة ولا يستأخر ، وان ينفع
الفارار في دفع القدر المحتم عن فار مولياً دبره لاعدائه ، فإذا ولّ دبره وفر
خوفاً من القتل فإنه علاوة على أنه يكون قد باه بغضب من الله فإنه يجعل
الله مأواه جهنم وبئس المصير ، فإنه ملاق حتفه المكتوب في موعده المقدر ،

(٤٠)

ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ

المحوم ، و ذلك لأن الأجل المحدد بقضاء الله وقدره هو الذي يستدعي الموت
فإذا حان الأجل انتهت الحياة وتيسرت أسبابه بسموته .
النهى عن مشاهدة الكفار في اعتقادهم الفاسد أن الخروج إلى القتال

سبب الموت :

و لقد نهى الله سبحانه و تعالى المؤمنين عن مشاهدة الكفار في اعتقادهم
الفاسد الدال عليه قوله عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والمحروب ، لو
كانوا تركوا ذلك لما أصابهم الموت ، وقد خلق الله تعالى هذا الاعتقاد الفاسد
في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتهم و قتلامهم ، وقد رد الله سبحانه و تعالى
عليهم أنه يده الخالق وإليه يرجع الأمر ولا يحيي أحد ولا يموت إلا بمشيئته .

كما بين سبحانه و تعالى أن الموت والقتل في سبيله تعالى وسيلة إلى نيل
رحمته و عفوه ، كما أخبر تعالى بأن من مات أو قتل فصیره و مرجعيه إلى الله
عز وجل فيجزيه معجله إن خيراً خير ، وإن شرآ فشر ، وقد قال تعالى في
ذلك كله :

• يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا و قالوا لأخوانهم إذا
ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ، وإن قتلتم
في سبيل الله أو تم مغفرة من الله و رحمة خير عما يجمعون وإن تم أو
قتل لالي الله تحشرون ، (سورة آل عمران : الآيات : ١٥٦ - ١٥٨) .

الله سبحانه و تعالى المستقل بالخلق والرزق :

وإذا كان خوف الموت هو السبب الأول في الجبن ، فإن السبب الثاني
ما يوصله الشيطان للإنسان من جانب الرزق وكيف يمكن توفيره للأولاد

لقد بين الله سبحانه و تعالى شعور المناقين في المعركة ، أولئك الذين
يشعرون بشعور من لا يربط نفسه بعقيدة يعرف على حدودها طريقة ، و يقدر
من الحياة موقفه ، و تصور من لا تربطه بالله رابطة ، ومن لا يعرف حدود
قدراته وقدرة خالقه ، ولقد فضح سبحانه و تعالى شعور المناقين في المعركة بقوله :
، وطائفة قد أهتمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون
هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم
ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قاتلناه ، قل لو
كتم في بيتك لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، (سورة آل عمران
الآلية : ١٥٤) .

فالذين ي يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قاتلناه ، هم
ذوو إيمان مزعزع ، وأصحاب تصورات جاهلية ، لا يزالون في فراق و فزع ،
يحسون أنهم مضطرون لعدم شعورهم بارتباطهم بمصدر القوى جمعها ، وهو
خالقهم سبحانه و تعالى ، له الأمر كله ، و له القدرة كلها .

وبالنسبة لهذا . و لغيرهم من أهل الريب والشك في كل زمان ومكان ،
الذين إذا حصل لهم أمر من الأمور الشديدة الفظيعة ، تحصل عندهم هذه
الظنون الشنيعة ، فيفقدون ثقتيهم بأنفسهم ، لعدم ارتباطهم بخالقهم تعالى ، بين
الله سبحانه و تعالى القرار الحاسم الصارم ، ويكشف عن الحقيقة العميقه الدقيقة
أن الأجل مكتوب لا يتقدم ولا يتاخر ، فإذا حان الأجل سعي صاحبه
بنفسه إليه ، وجاءه بقدميه ، لا يسوقه أحد ، ولا يدفعه إلى مضيجه المقسم :

• قل لو كتم في بيتك لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ،
فالجهاد لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون سبب الموت قبل الأجل

ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ

من ضعف الطبيعة البشرية وإشقاها وقائمها بالنسبة لأمر الرزق ، بقوله سبحانه و تعالى : « و في السماء رزقكم و ما توعدون فور رب السماء و الأرض إنك لحق مثل ما أنتم تتطقون » (سورة الذاريات الآية ٢٢ ، ٢٣) .

ويجب أن لا يفهم من هذا أن الإسلام يحظر على القعود عن طلب الرزق ، بل على العكس من ذلك ، فلما يحضر على السعي في طلب الرزق ، ويرى أن السعي في طلب الرزق مطلوب وأن العمل الجاد الكادر إنما هو من سمات الإسلام وأنه عبادة من جملة العبادات التي أمر الله تعالى بالقيام بها فقد أمر الله سبحانه و تعالى بالسعي في طلب الرزق بغض النظر عن نتائجه لأن الله هو الذي يرزق من فضله من شاء قال تعالى : « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » .

و قد حثّ الرسول ﷺ على طلب الرزق في عدة أحاديث ، منها قوله عليه السلام : « لأن يأخذ أحدكم حلة فيحتطلب على ظهره خير من أن يأني رجلاً أعطاهم الله من فضله فسألهم أعطاء أو منعه » (متفق عليه من حديث أبي هريرة) .

وقوله عليه السلام : « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » (رواه الترمذى وقال حسن صحيح) .

فإذا كان الرزق يهدى الله ، وإذا كان العمل مطلوباً لأن الإسلام حتى على السعي في طلب الرزق ، فإن ما ينهى عنه الإسلام إنما هو الصورة الجشعة القلقة التي ترى أن عبد الله يده الرزق إعطاماً ومنعاً ، ويده الرزق زيادة ونقصاً ، أو أخذها وتركها ، أو أن القيام بعمل معين يزيد أو ينقص من الرزق المقسم المحدود .

وموقف الإسلام هذا من الرزق يكون قد حرر كل مسلم من أن يكون هم الرزق سبباً في ضعفه أو ذلتة بتقاعسه عن أداء الفرائض التي فرضها الله عليه ومنها الاقدام على الجهاد في سبيل الله .

والذرية من بنين وبنات وزوجة إذا ذهب للحرب ، وإذا قدر له الشهادة فيها . وكما تحرم العقيدة الإسلامية على المسلم أن يؤمن إيماناً قاطعاً لا يخالطه أدنى شك أو ريب أن الآجال محدودة ، ولا تملك أى قوة غير قوته تعالى أن تزيد في أجل أى إنسان أو تنقص منه لحظة من الزمن مما كانت قصيرة وكذلك فإن العقيدة الإسلامية تحرم على المسلم أن يؤمن بنفس القوة والجزم أن الرزق مقسم منه سبحانه و تعالى ، وأن التقاعس عن القتال في سبيل الله أو الهروب من أعداء الله الذين يؤدي إلى غضب الله تعالى لن يزيد في الرزق الذي كتبه الله تعالى للإنسان مقدار ذرة ، كما أن الاقدام على القتال في سبيل الله لن ينقص من الرزق المحدد له بقضاء الله و قدره شيئاً .

و هكذا فكما يحرر الإيمان بالله تعالى المؤمن من خوف الموت ، فإنه يعمل على تحريره أيضاً من هم الرزق بالنسبة للإنسان نفسه الذي يتکفل للأسرة بالرزق ، وبالنسبة للأسرة نفسها فرداً فرداً ، يستوى في ذلك حالة السلام و حالة الحرب : ذلك أن الرزق يهدى الله سبحانه و تعالى ، يقول تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، و يعلم مستقرها و مستودعها » (سورة هود الآية : ٦) .

كما يقول تعالى : « و كان من دابة لا تحمل رزقها وإنما ، (سورة العنكبوت الآية : ٦) .

و كما يقول تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » (سورة فاطر الآية : ٢) . و كذلك يؤكد الله سبحانه و تعالى تأكيداً جازماً أن الرزق في السماء محدود مقسوم ، ويقسم سبحانه و تعالى بنفسه على أن ذلك حق واقع ، لما يعلمه

تفوى الله سبب الرزق :

لقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن كل من يتق الله ويتوكل عليه ، فإنه تعالى سيكفيه رزقه ، ويجعل له مخرجاً من كل شئ ضاق عليه ، ويرزقه من حيث لا يدرى ، قال تعالى : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب ، و من يتوكل على الله فهو حسنه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شئ قدرأ » (سورة الطلاق الآية : ٢ ، ٣) .

و روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأله الله ، وإذا استعن فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، و لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام و جفت الصحف » (وكذلك رواه الترمذى و قال حسن صحيح) .

و سبحان الله تعالى الذي هو « بالغ أمره ، أى منفذ قضياءه ، وأحكامه في خلقه بما يريد و يشاء » قد جعل الله لكل شئ قدرأ ، كقوله تعالى : « وكل شئ عنده بمقدار » .

تحريم خشية أحد إلا الله تعالى :

و لحربيض المؤمنين على قتال المشركين ، و غرس روح الاقدام على القتال في سبيل الله في نفوس المؤمنين ، حرم الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين خشية المشركين ، وبين سبحانه و تعالى أن المؤمن حقاً لا يخشى أى قوة غير خالقه سبحانه و تعالى ، فقال تعالى : « الا تقاتلون قوماً نكثوا أيامهم و هم باخراج الرسول و هم بدأوكم أول مرة اخشوونهم فالله أحق أن تخشعوا إن كنتم مؤمنين » (سورة التوبه الآية : ١٣) .

ربيع الثاني ١٣٩٤

ولكي ينال الإنسان حقه هذا يلتجأ حيناً إلى خالقه ، ويعتمد حيناً آخر على عقله ، ويريد عقله أن يضع مبادئ مقررة للحياة ، قلائم الحاجات الطبيعية والمشكلات الاجتماعية و النزعات الداخلية ، ليعيش الإنسان في ظلالها ، وينال حقه الأساسي المهم .

حاول الإنسان وضع مثل هذه المبادئ في العصور المختلفة ، و تبلورت هذه المحاولة في العصر الحديث عملياً و فكرياً ، و القوانين الوضعية الحديثة تجسيد عملي لهذه المحاولة ، أو تفسير كامل لهذا المجهود العقلي ، والقانون - كما يراه المفكرون و رجال القانون - يريد أن يتحكم في جميع نواحي الحياة الإنسانية التي يباح بفضلاها للإنسان أن يعيش حياة منظمة و يسود السلام والطمأنينة على الصعيدين الفردي و الاجتماعي .

إن القانون يهدف إلى تحسين الحياة الفردية إلى أقصى غاية التحسين ، وأسمى أهداف القانون إقامة مجتمع أفضل يتمتع بالهدوء و السلام و النظام ، ليتمكن الإنسان من إرضاء حاجاته المتنوعة ، و ليرتفع مستوى الحياة البشرية فالقانون يعني إذاً إيجاد المثل الحقيقة للحياة .

إن بناء حياة أفضل للفرد ، و إقامة مجتمع يتمتع بالسلام و إيجاد الحياة الفاضلة كل ذلك ليس في نطاق القانون ، و لتحقيق هذه الأهداف السامية يفتقر القانون بالإضافة إلى مبادئه ولائحته إلى سلطة تنفذها مع جميع نواحها و مناحها ولذلك قيل في وصف « القانون » :

« هو الجزء المستقل للآفكار و العادات الذي يكون قد حظى بالقبول بصورة واضحة والذي يستند إلى السلطة و الدولة » .

ويرى رجال القانون أن نطاق أهداف القانون السامية يشمل الفرد

تعريف : محمد أجل أيوب الندوى

الدين ، الأخلاق ، القانون (١)

و علاقة كل واحد بالآخر
★ooooooooooooo★

فضيلة الشيخ منت الله الرحمنى

الأمين العام لمجلس قانون الأحوال الشخصية للسلميين في الهند

من المواضيع التي استرعت اهتمام المفكرين و رجال القانون ، و أضحت موضوع بحث و نقاش طويلاً في العصر الحديث ، موضوع الدين و الأخلاق و القانون وارتباط البعض مع الآخر ، و تحديد نوعية هذا الارتباط سوف لا يدل على المكانة اللامقة ، بقانون الأحوال الشخصية للسلميين ، عملياً و نظرياً

حسب بل بفتح الطريق الذي يتولى وصول الحياة إلى غايتها باستخدام العوامل الداخلية والدوافع الخارجية للإنسان .

موضوع كل واحد من الدين و الأخلاق و القانون هو الإنسان ، وحق الإنسان الأساسي و الأكبر أن توفر له فرصة التمتع بالحياة الحاضرة فيعيش في هدوء و سلام و يدفع لغيره - كذلك - أن يعيش في هدوء و سلام .

(١) قدم هذا البحث في المؤتمر الدولي الذي عقده « المعهد الهندي للدراسات الإسلامية » و « مدينة الإسلام والعصر الحديث » في نيو دلهي واستمر من ١١ / ١٢ / ١٩٧٣م إلى ١٦ / ١٢ / ١٩٧٣م و حضره عدد كبير من المستشرقين و رجال الفكر الإسلامي و المهتمين بالدراسات الإسلامية في الأقطار المختلفة .

ربيع الثاني ١٣٩٤

الخالية كالزنا والخمر والاجهاض وما إلى ذلك باسم الرأي العام، وجعلوا يخترون مقاييس جديدة مزخرمة للعدل والنصفة وعزم النفس وغض البصر ولذلك لن ينجو الحق إذا فلنا إن القانون - بصورة عملية - لا يزال يتحول إلى «وسيلة محترمة» لأشباع الحاجات المهووّة، وتحقيق الأغراض النفعية التي لا تخصى باسم المساواة، ولم ينجح رجال القانون - حتى الآن - في التوصل إلى وازع يحد هذه الحاجات والأغراض، ويردع النفس عن هذه الشهوات.

صحيح أنه ربما توجد أسس وقيم «مبادئ» سامية في أذهان رجال القانون وفقاً لمنهج فكر كل منهم، ولكن ليس عندنا «يزان يقاس به مدى صحة ما يوجد في شئ الأذهان من الأشياء»، ولا يمكننا أن نعتبر هذه الأشياء منسقة ولا رصيدة اجتماعية للفكريين، وبذلك فالقانون هو الذي عليه أن يوصل الحياة الإنسانية إلى شاطئ النجاة، ولا توجد عند المفكريين قيم خلقية ثابتة مستقلة، بصورة عملية، على أقل تقدير، غير القانون القابل للتعديل والتطوير، بفضل الفكر المعاصر سلطة الدولة المستبدة وأهمية المجالس التشريعية وما وضعته من القوانين محل سلطة الله المطلقة وـ ما أعطاه الإنسان من المبادئ والقوانين.

ولكن إذا أوضحت الخطوط العملية للدولة صعب التهرب من الدين والأخلاق فتضطر رجال القانون إلى أن يقولوا:

ـ يؤثر القانون في السلوك الخارجي للإنسان، والأخلاق عاطفة نبيلة في داخل الإنسان وسلطة القانون لا تتجاوز سلوك الحياة الخارجية، أما سلوك الداخلي فخاضع للقوانين الخلقية.

والمجتمع والحياة الخلقية، ويعتبرون السلطة العليا عنصراً لازماً من عناصر الدولة وهذه السلطة غير محدودة لا يحدوها القانون أيضاً بل هي - بالعكس - تستطيع أن توسيع نطاق القانون الأوسع، والحق أن هذه السلطة العليا للدولة صورة للعقيدة الدينية القائلة بأن الله هو المالك الحقيق للقوة القاهرة.

ولا نخطئ إذا قلنا - نظراً لوجهة آنذار المفكرين - إن فلسفة القانون الحديثة جعلت كل ناحية من نواحي الحياة ترتبط بالقانون و السلطة التشريعية ارتباطاً وثيقاً، وتولى انقاذون و السلطة التشريعية مسؤولية التقدم الشامل لحياة الإنسان الفردية والجماعية، والمجالس التشريعية التي تكون مظهراً للسلطة العليا للدولة تعهد بتحقيق أغراض القانون المذكورة، وأعضاء المجالس التشريعية، في العصر الحاضر بصورة عامة، يمثلون الشعب فيضعون القوانين لبناء المستقبل حسبما توحى إليهم عقولهم مراعين مطالب الناس وعاداتهم وخصائصهم وزعامتهم ومكاننا أصبح القانون - في العصر الحديث - مطية لأشباع أغراض الشعب و مثيله على قدم المساواة.

وفي هذا العصر حرية الذي يعتبر ثورة الإنسان على جميع القيود والحدود أسمى درجات الحرية لا يمكن تحديد قائمة الحاجات والمصالح والأغراض لأنه كلما أعيد النظر في هذه القائمة يكون قد توسيع وتضاعفت أغراض الطبائع المولعة بالحرية، و من عجائب هناف «مصالح الشعب و حاجاته»، أن قانوناً من القوانين يدو كل يوم قابلاً للتعديل والتفسير، و تمس الحاجة إلى البحث عن حقائق جديدة بعد ازاحة الحقائق الثابتة، وقد رفض التفسير الحديث للقانون و السلطة - بصورة عملية - وجود قيم خالدة، و حقائق ثابتة لا تتزعزع، و مثل خلقيات عليا، وأصبحوا مختلفون مبررات قانونية للجرائم

ربيع الثاني ١٣٩٤

ما لم يظهر تأثيرها الملموس في المجتمع ، وفي هذه المرحلة تقع الحاجة إلى وازع عدا القانون ، وهذا الواقع هو الدين والأخلاق فلا يقضى على هذه المفاسد إلا الشعور الخلقي والروح الدينية ، ولذلك يقول « نطشه » إن جوهر النفس الإنسانية هو الشعور الديني والدين بمنزلة روح للحياة المدنية .

(٢) إن القوانين التي وضعت لقيادة الحياة البشرية بعد إقصاء الأخلاق والدين أو إخضاعهما لم تؤت ثمارها المرجوة وأخفقت في حل مشكلات الحياة المعقّدة المنوعة ، لأن ذلك كان خارج نطاق القانون ، إن عجز القانون يدفع العقل المفكر إلى اللجوء نحو الدين والأخلاق ولكن العقل لا يستسلم ولا يُعرف بعجزه إلا بصعوبة .

البحث صلة



وهكذا تختلف حدود القانون والأخلاق ولكن وضعت الأخلاق مع ذلك - عملياً و فكريأ - موضع « عنوان جانبي » من عناوين القانون وإلا لم يجعلوا الأسس الخلقية الواضحة الثابتة قابلة للتعديل والتطوير باسم الرأي العام و لم يرفضوا وجود القيم الخلقية العليا بصورة عملية ، و كذلك الدين شأنه شأن الأخلاق ، فالدين يقول : إن السلطة العليا لله ، وأول ما يطالبه الدين من يؤمن به أن يخضع في جميع نواحي الحياة لتلك السلطة العليا فيطيعها و لا يطيع أحداً غيره إلا إذا أمره الله بطاعته ، أما رجال القانون فزعموا أن الدولة هي السلطة العليا و هذا الرعم يزيل الحجر الأساسي للدين من موضعه الفقير كلاماً ، ولكن مع ذلك قد وجد منهم اعتراف بأهمية الدين و الأخلاق كل فيما .

و عندى لهذا الاعتراف أسباب عديدة :

(١) أولها وهو أكبرها وأهمها أن طبيعة الإنسان التي فطر عليها لا تزال تحضه على الخضوع للدين والأخلاق و تبقى هذه الصلاحية الفطرية أو العمل الفطري بصورة مستمرة و ترشد الإنسان في شتى مراحل الحياة التي تبعث الفاسق الذي يعاني من مرارة تجربة الحياة القاسية الفاشلة على أن يقول : « جبل الإنسان على الإيمان بالدين كما جبلت الطيور على التعشيش » .

(٢) إذا أنس نظام الحياة على أساس القانون فحسب بقيت كثير من المفاسد صعبة الزوال بينما يستوجب العقل إزالتها و إصلاحها ، فالحسد والخذلان والخيانة والصلف وضيق الصدر أمر أرض خلقية مختلف أثراً سبباً في حياة الفرد والمجتمع ، ويكون هذا التأثير أبعد وأعمق في بعض الأحيان ، ولكن يد القانون لا تستطيع أن تتعثر على مثل هؤلاء المرضى الخلقين و تتغلب عليهم

ربيع الثاني ١٣٩٤

الاعقادات الفاسدة و يحملون من الأفكار المشركة ما كان يعتقده اليهود والنصارى في عزير و مسيح عليهما السلام وأجرارهم و رهبانهم ، وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء والشياخ إنما كان تقليداً ناجحاً للآعمال و التقاليد التي كانت تتجزء في معابد غير المسلمين و قبور المقدسين عندهم ، فالاستغاثة منهم والاستعانة بهم ، ومدى الطلب والضراعة إليهم كل ذلك كان عاماً شائعاً بينهم كما عانت عادة بناء المساجد الفخمة على قبورهم و جعلها مسجداً ، و عقد المهرجانات عليها عاماً فعاماً وقطع المسافات الطويلة للوصول إليها .

و قد تفاقمت هذه العقائد السيئة واستشرت هذه البدع و المنكرات في أواخر القرن السابع إلى حد كبير ، ولكن نقدر مدى هذا الفساد نقدم مقتطفات من مؤلفات و كتابات شيخ الإسلام نفسه ، فقد تناول فيها ذكر بعض الضلالات الشائعة في عصره ضمن بحث أو رد على سؤال ، وهي تشير بعض الشئ إلى الانحطاط الديني ، و الهجمات التي شنتها الجاهلية على قلب الإسلام في ذلك العصر ، يقول :

· وأخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الله و الشيخ الحى المتعلق به كالنبي ، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربارات ، وأما الحى فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرم ، وكانوا في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يستخدوه رسوله ، وقد يجني الحديث العهد بالاسلام أو التابع لهم لحسنظنهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إنما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك ، فيدخل ذلك السادن فيقول قد قلت للشيخ ، و الشيخ يقول للنبي ، و النبي يقول لله ، والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان ، فهل هذا إلا محض دين المشركين و النصارى ، و فيه من الكذب و الجهل ما لا يستجزئه كل مشرك و نصراوى

(٥٥)

مهمة الاصلاح والتتجديد

لشيخ الاسلام ابن تيمية

تعريب :

بقلم : سعيد الأعظمي الندوى
الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسنى الندوى

المهمة التي أداها شيخ الاسلام ابن تيمية في تاريخ الاسلام الدعوي الفكرى وإن كانت تحتوى على جوانب علية وعملية كثيرة ولكن يمكن توزيعها في أربعة أجزاء ، تلك التي تملك أهمية خاصة في تاريخ الاصلاح والتجدد ، وهي كالتالى :

- ١ - تجديد عقيدة التوحيد و إبطال العقائد و التقاليد المشركة .
- ٢ - نقد الفلسفة و المنطق و علم الكلام ، و ترجيح منهج الكتاب و السنة وأسلوبها على كل منهج و أسلوب .
- ٣ - الرد على الفرق و الملل غير الاسلامية ، و مقاومة عقائدها وتقاليدها و تأثيرها .
- ٤ - تجديد العلوم الشرعية و بعث الفكر الاسلامى .

تجدد عقيدة التوحيد و إبطال العقائد و التقاليد المشركة :

العقائد و التقاليد المشركة في عهد ابن تيمية : كانت العقائد و التقاليد المشركة نالت رواجاً بين عامة المسلمين باختلاطهم مع غير المسلمين و العجم و نفوذ الحكومة الباطنية و الاسماعيلية و تأثيرهما ، و انتشار تعليمات الجهمة و الصالحة من الصوفية و أعمالهم ، فقد وجد عدد وجيه من المسلمين في ذلك الحين يعتقدون في آئمه دينهم و مشايخهم و الأولياء و الصالحين منهم من

(٥٤)

ربيع الثاني ١٣٩٤

بإلا أن يشاء رب شيئاً ، وسع رب كل شيء علماً أفلأ تذكرون ، و كف
أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً
فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أولئك لهم الأمان و هم مهتدون ، (١) .

استخفاف شعاعر الله والاستهزاء بالله : « و هؤلاء الذين اتخذوا القبور أو ثناها
تجدهم يستهزؤون بما هو من توحيد الله تعالى و عبادته و يعظمون ما اتخذوه
من دون الله شفعاً حتى إن طوائف منهم يستخفون بمحج البيت و بنى يحج
البيت ، و يرون أن زيارة أنتمهم و شيوخهم أفضل من حج البيت ، و هذا
موجود في الشيعة وفي المتنسبين إلى السنة ، و آخرون يستخفون بالمساجد
و بالصلوات الحسنس فيها ، و يرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا ، و هذا
موجود في الشيعة المتنسبين إلى يونس القبسي حتى ينشدون :

تعالوا نخرب الجامع و نجعل فيه خماره
و نكسر المبر و نجعل منه طباره
و نحرق المصحف و نجعل منه زماره
و نتف لحية القاضي و نجعل منه أوناره ، (٢)
وقاحة المشركين و جرائمهم :

« ويختلف أحدهم بين الغموس كاذباً ولا يجترئ أن يختلف بشيخه وبين
الغموس كاذباً ، و منهم من يقول كل رزق لا يرزقه إيه شيخه لا يريد ،
و منهم من يذبح الشاة و يقول باسم مسيدي ، و منهم من يقول : إن شيخه
(١) سورة الانعام الآيات ٨١ / ٨٢ / ٨٣ .

(٢) الرد على البكري ص ٢٥١ .

ولا يروج عليه ، و يأكلون من النذور و ما يرقى به إلى قبورهم ما يدخلون
به في معنى قوله تعالى ، إن كثيراً من الأجرار و الرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل ، و يصدون عن سبيل الله ، (١) .

عبادة القبور السافرة : « فطائفة من هؤلاء يصلون إلى الميت ، ويدعو
أحدم الميت فيقول : اغفر لي وارحمني ، و نحو ذلك ، ويسجد لقبره ، و منهم
من يستقبل القبر و يصل إلى مستدراً الكعبة و يقول : القبر قبلة الخاصة ،
و الكعبة قبلة العامة ، و هذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة و زهدآ و هو
شيخ متبع ولعله أمثل أتباع شيخه ، يقوله في شيخه ، وآخر من أعيان الشيوخ
المتbowين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد ، يأمر المريد أول ما
يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التائيل ، و جمهور
هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعا
و حضور القلب ما لا يجد أحدم في مساجد الله تعالى التي أذن أن ترفع
ويذكر فيها اسمه ، (٢) .

يخشون القبور وأصحابها ولا يخشون الله : « حتى إن طائفة من أصحاب
الكتاب الذين لا يتحاشون فيها يفعلونه من القبائح كان إذا رأى قبة الميت أو
الهلال الذي على رأس القبة خشى من فعل الفواحش ، و يقول أحدم لصاحبه:
ويحل هذا هلال القبة ، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق
السماء والأرض ، و جعل أهل السماء مواقيت للناس و الحج ، و هؤلاء
إذا نظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بابراهيم عليه السلام ، قال تعالى
و حاجه قوله قال أتحاجوني في الله وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون

(١) الرد على البكري ص ٢٩٨ (٢) الرد على البكري ص ٢٩٥ .

ربيع الثاني ١٣٩٤

الشعراء :

يا خائفين من التبر
لودوا بغير أبي عمر
أو قال :

عوذوا بغير أبي عمر ينجيك من الضرر
فتة المشاهد :

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإجلال و التعظيم أن تزداد
أهمية المشاهد بازاء المساجد ، و تحول المشاهد مزارات الجهة و من أكبر تضليل
ال حاجات والاستغاثة بها لدى هذه الطبقة ، فقد انتشرت هذه المشاهد والمزارات
في كل ركن من أركان العالم الاسلامي ، و وجدت آلاف مؤلفة من القبور
المزورة ، و تصدى الأمراء و السلاطين لوقف الممتلكات و الأراضي الواسعة
عليها و أقيمت عمارات ضخمة و قباب ضخمة في أمكنته هذه القبور و مشاهد
المشائخ ، كما وجدت أمة بذاتها للعاكفين و السكناين و الخدم لهذه القبور ،
ونالت الرحلة إليها كل إعجاب و اهتمام كبير ، حتى بدأت تصل قوافل الحجاج
إليها من مسافات بعيدة تضارع قوافل الحجيج إلى بيت الله بل تفوقها بعض
الأجانب في الشوكه و الزينة ، و تحول إقبال عامة المسلمين من المساجد إلى
هذه المشاهد .

وفي القرنين السابع و الثامن دخلت هذه المشاهد و القبور في جنة
المسلمين الدينية و نالت عندهم من القبول و المركبة ما جعلها تتفاوض بيت الله
و تتحداه ، و تستطيع أن تقدر مدى خطورة فتة المشاهد هذه ، و تعمق
جذورها في المجتمع ، و كم كان للجهلة من المسلمين و الاتهازيين علاقة عميقة
بها عن طريق كتابات ابن تيمية و مؤلفاته ، و من الأسباب التي أدت دوراً
هاماً في توسيع هذه الفتة و تأصلها أن السلطة الباطنية (١) حكمت قرونًا

(١) وتعرف بوجه عام باسم السلطة الفاطمية ، والحقيقة أنها سلطة العبيددين .

أفضل من الأنبياء و المرسلين ، و منهم من يعتقد فيه الالهية كما يعتقد النصارى
في المسيح ، فإذا ذكروا شيخهم عظمه وادعوا فيه الالهية وأنشدوا على لسانه :
موسى على الطور لما خر لـ ناجي و صاحب الترب أنا جئته حتى جا
و لم يأها :

و أنا صرخت في العرش حتى ضج و أنا حللت على على حتى هج
و إن البحر السبع من هيبي ترنيج

العقيدة بالوهبة المشائخ :
و هؤلاء يجعلون الرسل و المشائخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء
ال حاجات و كشف الكربلات و هذا ليس من دين المسلمين بل النصارى يقولون
هذا في المسيح وحده لشبهة الانحاد والحلول ، وهذا لم يقولوا ذلك في إبراهيم
وموسى وغيرهما من الرسل مع آنهم في غاية الجهل في ذلك . (١)

ومن هؤلاء من يظن أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم ييركون
يزقون و ينصرون ، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسيبه ، ويقولون عن
يعضمونه : إنه خفير البلد الفلاني ، كما يقولون : السيدة نفيسة خفيرة مصر
القاهرة ، و فلان خفراه دمشق أو غيرها ، و فلان خفیر حران أو
غيرها ، و فلان خفراه بغداد أو غيرها ، و يظنون أن البلاء يندفع
عن هذه المدائن و القرى بمن عندهم من قبور الصالحين أو الأنبياء ، (٢)

حتى إن العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا
يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم ، و قال بعض

(١) الرد على البكري ص ٣٢٨ .

(٢) الرد على الأخناني ص ٨٢ - ٨٣ .

ربيع الثاني ١٣٩٤

يسافرون إليها وقت الموسم ، يعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا في المغرب والشرق ، ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد و القبر الذي يعظمه أفضل من الحج ، ويقول أحد المريدين الآخر وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق ، أتعني زيارة قبر الشيخ بالحج السبع ؟ فشارور الشيخ فقال : لو بعت لكتن مغلوبًا ، و منهم من يقول : من طاف بقبر الشيخ سبعاً كان كحجة ، (١) .

الاعراض عن المساجد والاهتمام بالمشاهد : « و كثير من هؤلاء يخربون المساجد و يعمرون المشاهد ، فتجد المسجد الذي بنى للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات ، و المشهد الذي نهى على الميت عليه ستور و زينة الذهب والفضة والرخام ، و التذور تغدو و تزوح إليه ، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله تعالى و آياته و رسوله و تعظيمهم للشرك ، فانهم اعتقادوا أن دعاء الميت الذي بنى له المشهد والاستغاثة به أفعى لهم من دعاء الله تعالى والاستغاثة به في البيت الذي بنى الله عز وجل ، ففضلوا البيت الذي بنى لدعاء المخلوق على البيت الذي بنى لدعاء الخالق ، وإذا كان لهذا وقف و لهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاداً لمشركي رب الذين ذكر الله تعالى حاملهم في قوله تعالى :

« و جعلوا الله مما ذرأ من الحمر والأفعم نصباً فقالوا هذا الله بزعيمه وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله و ما كان الله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون » ، (٢) .

(١) الرد على البكري ص ٢٩٦ .

(٢) الرد على البكري ص ٢٥٠ .

طويلة في رقعة تمتد من المغرب الأقصى إلى مصر و الشام ، وما يعرفه الجميع أن أهل الرفض والتشيع كانوا يتصلون بالمشاهد أكثر منهم بالمساجد وبالنじف و الكربلاء و المشهد أكثر منهم بالحرمين الشريفين .

ولو أن سلطة مصر الفاطمية كانت قد انتهت قبل ولادة ابن تيمية إلا أن تأثيرها الفكرى والحضارى لم ينته بعد ، و بخاصة فى الشام فقد وجد فيها عدد كبير من الشيعة والاسيماعيلية من لم تكن صحبتهم تخليو من تأثير سيفى على العامة والجملة من المسلمين ، كا أن النصوف الخاطئ الذى تحمل فيه المشاهد والقبور مخالفة من الأهية والتقديس ، و يعقد عليها اجتماعات سنوية ، و القبور محل خاصاً من الأهية والتقديس ، و يعقد عليها اجتماعات سنوية ، سبب ازدهارها ، حتى غدت وسيلة كبيرة من وسائل الشرك و البدع ، يقول الإمام ابن تيمية وهو يتحدث عن هذه المشاهد والقبور :

الحج إلى المشاهد و القبور : « و آخرون يحجون إلى القبور ، و طائفه صنعوا كتاباً و سموها مناسك حج المشاهد ، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعيم الملقب بالمفید أحد شيوخ الامامية كتاباً في ذلك ، و ذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل و آخرون يسافرون إلى قبور المشائخ ، و إن لم يسموا ذلك منسكاً و حجاً ، فالمعنى واحد ، و من هؤلاء من يقول : « و حق النبي الذي حج إلى المطابيا ، فيجعل الحج إلى النبي لا إلى بيت الله عز وجل » ، (١) .

الترجيح على الحج إلى الكعبة : « و من هؤلاء من يرجع الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت ، لكن قد يقول أحدهم : إنك إذا زرت قبر الشيخ منرين أو ثلاثة كان كحجة ، و من الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات ،

(١) الرد على البكري ص ٢٩٥ .

ربيع الثاني ١٣٩٢

العقائد والأراء التي كانت أساس هذه الأعمال المشركـة . والذى دفع العامة من الناس إلى زيارة هذه القبور ومارستهم لهذه الأعمال والتقاليد المشركـة هو أنهم إنما كانوا يدعون أصحابها لتحقيق أغراضهم وما ربهم ، فكانوا يستغبون ويستعيذون بهم ، وقد صرـح ابن تيمـية في مؤلفاته أن الدعـاء من غير الله لا يجوز الـبتـة ، وهو شـرك جـلي دخـلـهـم بـجهـالـتـهـمـ وـاـخـلاـطـهـمـ بـغـيـرـ الـمـسـلـمـينـ ، إـنـهـ يـقـولـ فـيـ كـتـابـهـ الرـدـ عـلـىـ الـبـكـرـيـ .
المنع عن الدعـاء والاستغـاثـةـ بـغـيـرـ اللهـ : « فـاـنـاـ بـعـدـ مـعـرـفـةـ ماـ جـاءـ بـهـ الرـسـوـلـ نـعـلـمـ بـالـضـرـورـةـ أـنـهـ لـمـ يـشـرـعـ لـأـمـمـهـ أـنـ تـدـعـوـ أـحـدـاـ مـنـ الـأـمـوـاتـ لـأـلـأـنـيـاءـ وـلـأـ الصـالـحـينـ وـلـأـغـيـرـهـ ، لـاـ بـلـفـظـ الـاسـتـغـاثـةـ وـلـاـ بـغـيـرـهـ وـلـاـ بـلـفـظـ الـاسـتـعـادـةـ وـلـاـ بـغـيـرـهـ ، كـمـ أـنـهـ لـمـ يـشـرـعـ لـأـمـمـهـ السـجـودـ لـمـ وـلـأـغـيـرـهـ مـيـتـ وـلـنـحـوـ ذـلـكـ ، بـلـ نـعـلـمـ أـنـهـ نـهـىـ عـنـ كـلـ هـذـهـ الـأـمـوـرـ وـإـنـ ذـلـكـ مـنـ الشـرـكـ الذـيـ حـرـمـ اللـهـ تـعـالـىـ وـرـسـوـلـهـ ، لـكـنـ لـغـلـبـةـ الـجـهـلـ وـقـلـةـ الـعـلـمـ بـأـثـارـ الرـسـالـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـمـاـخـرـينـ لـمـ يـكـنـ تـكـفـيرـهـ بـذـلـكـ حـتـىـ يـتـبـيـنـ لـهـمـ مـاـ جـاءـ بـهـ الرـسـوـلـ مـلـكـهـ مـاـ يـخـالـفـهـ ، (١) . وـ يـقـولـ فـيـ مـنـاسـبـةـ أـخـرـىـ :

« (أـبـعـدـهـ) عـنـ الـشـرـعـ أـنـ يـسـأـلـ الـمـيـتـ حـاجـةـ أـوـ يـسـتـغـبـثـ بـهـ كـمـ يـفـعـلـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ بـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـوـاتـ وـهـوـ مـنـ جـنـسـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ ، وـهـذـاـ تـمـثـلـ لـهـمـ الشـيـاطـينـ عـلـىـ صـورـةـ الـمـيـتـ أـوـ الغـائـبـ كـمـ كـانـ تـمـثـلـ لـعـبـادـ الـأـصـنـامـ بـلـ أـصـلـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ إـنـمـاـ كـانـ مـنـ الـقـبـورـ كـمـ قـالـ اـبـنـ عـبـاسـ وـغـيـرـهـ ، (٢) .

وـ يـقـولـ فـيـ مـوـضـعـ آخـرـ :

« سـؤـالـ الـمـيـتـ وـالـغـائـبـ نـيـآـ كـانـ أـوـ غـيـرـهـ مـنـ الـمـحـرـمـاتـ الـمـنـكـرـةـ بـاـنـفـاقـ أـئـمـةـ

(١) الرـدـ عـلـىـ الـبـكـرـيـ صـ ٢٧٧ـ (٢) أـيـضاـ صـ ٥٦ـ .

وـ بـهـذـهـ الـمـقـطـفـاتـ إـلـىـ أـورـدـنـاـهـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـقـدـرـ الـقـارـىـ السـكـرـيمـ مـدـىـ الـضـلـالـاتـ الـعـقـائـدـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ إـلـىـ كـانـ الـجـهـلـ وـالـعـامـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ قدـ أـصـبـواـ بـهـاـ فـيـ الـقـرـنـيـنـ السـابـقـ وـالـثـالـثـيـنـ الـمـاـنـيـنـ الـجـهـلـ وـالـمـرـاكـزـ قـوـيـةـ ، وـوـجـودـ كـبـارـ كـيـانـيـنـ الـفـنـ وـالـمـدـارـسـ الـدـيـنـيـةـ وـالـمـراـكـزـ العـلـيـةـ ، وـوـجـودـ كـبـارـ كـيـانـيـنـ الـفـنـ وـالـمـدـارـسـ الـدـيـنـيـةـ وـالـمـراـكـزـ مـنـهـمـ ، وـبـصـرـفـ النـظـرـ عـنـ هـؤـلـاءـ الـعـامـةـ وـالـجـهـلـةـ مـنـ النـاسـ فـانـ كـثـيرـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـقـهـاءـ وـجـدتـ الشـبـهـاتـ سـيـلـاـ إـلـىـ نـفـوسـهـمـ حـولـ هـذـهـ الـعـقـائـدـ وـالـأـعـمـالـ فـانـ كـتـابـاتـهـمـ وـفـتاـواـهـمـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ أـفـكـارـهـمـ لـمـ تـكـنـ نـقـيـةـ فـيـ مـوـضـوعـ الـشـرـكـ وـالـتـوـحـيدـ كـاـنـ يـسـبـغـيـ أـنـ تـكـوـنـ لـرـجـلـ استـفـادـ عـقـيـدـةـ التـوـحـيدـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـسـيـسـةـ مـبـاـشـرـةـ ، وـأـطـاعـ عـلـىـ نـمـاذـجـ مـنـ القـوـلـ وـالـعـمـلـ لـعـهـدـ الرـسـوـلـ مـلـكـهـ وـأـصـحـابـهـ الـكـرـامـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـ ، وـتـقـدـرـ وـجـهـةـ نـظـرـ هـذـهـ الـطـبـقـةـ إـلـىـ تـأـثـرـ بـتـقـالـيدـ عـصـرـهـ الـرـائـجـةـ ، وـعـادـاتـهـ الـقـدـيمـةـ مـنـ كـتـابـاتـ مـعاـصرـ اـبـنـ تـيمـيـةـ الشـيـخـ عـلـىـ بـنـ يـعقوـبـ الـبـكـرـيـ وـالـأـخـنـافـ إـلـىـ تـصـدـىـ شـيـخـ الـاسـلـامـ اـبـنـ تـيمـيـةـ للـرـدـ عـلـيـهـاـ فـأـنـافـ كـتـابـيـنـ مـبـسـطـيـنـ (١)ـ اـقـطـفـنـاـ مـنـهـمـ مـاـ مـرـ آـنـفـاـ .

مـهـمـتـهـ الـاـصـلـاحـيـةـ وـمـعـارـضـتـهـ لـلـعـقـائـدـ الـمـشـرـكـةـ : رـفـعـ اـبـنـ تـيمـيـةـ لـوـاءـ الـجـهـادـ وـالـتـجـديـدـ ضـدـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ وـالـأـفـكـارـ وـالـتـقـالـيدـ الـمـشـرـكـةـ الـرـائـجـةـ ، مـسـتـغـنـيـاـ فـذـلـكـ عـنـ سـخـطـ الـعـامـةـ ، وـغـضـبـ الـخـاصـةـ وـعـنـهـمـ ، وـضـرـبـ عـلـىـ جـذـورـ تـلـكـ

(١) تـلـخـيـصـ كـتـابـ الـاسـتـغـاثـةـ الـمـعـرـوفـ بـالـرـدـ عـلـىـ الـبـكـرـيـ ، الـمـطـبـعـةـ السـلـفـيـةـ مـصـرـ عـامـ ١٣٤٦ـ ، وـ كـتـابـ الرـدـ عـلـىـ الـأـخـنـافـ وـاسـتـحـبـابـ زـيـارـةـ خـيرـ الـبـرـيـةـ الـزـيـارـةـ الـشـرـعـيـةـ ، الـمـطـبـعـةـ السـلـفـيـةـ عـامـ ١٣٤٦ـ ، وـ الـكـتـابـ المـذـكـورـ

ربيع الثاني ١٢٩٤

فليس لنا أن نطلب ذلك منهم ، و كذلك الانبياء والصالحون ، و إن كانوا أحياه في قبورهم ، وإن قدر أنهم يدعون للإحياء وإن وردت به الآثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من السلف ، لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم و عبادتهم من دون الله تعالى ، بخلاف الطالب من أحدهم في حياته ، فإنه لا يفضي إلى الشرك ، ولأن ما تفعله الملائكة و يفعله الأنبياء و الصالحون بعد الموت هو بالأمر الكوني ، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين ، بخلاف سؤال أحدهم في حياته فإنه يشرع إجابة السائل ، و بعد الموت انقطع التكليف عنهم (١) .

أشكال وأنواع متعددة للداعين : وفي موضع آخر بين ألوان وأحوال الداعين والسائلين على القبور ، و يذكر أحكام كل منهم ، يقول : و أما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك و يسأله و يستجده فهذا على ثلاث درجات : أحدها أن يسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دواهه أو يقضي دينه أو ينتقم له من عدوه أو يعافي نفسه و أهله و دواهه و نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك صحيح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب و إلا قتل .

وإن قال : أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله من ليشفع لي في هذه الأمور لأن أتوسل إلى الله به كما يتولى إلى السلطان بخواصه وأعوانه فهذا من أفعال المشركين و النصارى ، فائهم يزعمون أنهم يتخذون أحجارهم و رديانهم شفعاء يستشعرون بهم في مطالبهم ، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا

(١) قاعدة جبلة في التوسل والوسيلة ص ١٣٢ .

المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة و لا التابعين لهم بمحاجة ، و لا استحبه أحد من أمته المسلمين ، و هذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لم يلت : يا مسني فلان أنا في حسيبك ، أو اقض حاجتي ، كما يقول بعض هؤلاء المشركين ممن يدعونهم من الموقن و الغائبين ، و لا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته و لا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم و لا إذا بعدوا عنها ، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال و يشتند بالأس بهم و يظلون الضالون و مع هذا لم يستغث أحد منهم ببني و لا غيره من المخلوقين ، و لا أقسموا بمخلوق على الله أصلًا ولا كانوا يقصدون الدعا عند قبور الأنبياء و لا قبور غير الأنبياء و لا الصلاة على هؤلاء ، وقد كره العلماء كالملك و غيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه و ذكره أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف ، (١) .

ويقول في رسالته المعروفة باسم التوسل والوسيلة : « فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبتهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال و نصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا ولا أنزل به كتاباً » (٢) .

الحكمة في تحريم الدعاء من غير الله : و يتحدث في هذا الكتاب عن الحكمة في تحريم الدعاء من غير الله فيقول : « نهى سبحانه عن دعاء الملائكة و الأنبياء ، مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا و يستغفرون ، و مع هذا

(١) الرد على البكري ص ٢٣٢ .

(٢) قاعدة جبلة في التوسل والوسيلة ص ١٥ .

ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ

فتوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام فانه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبي عليه السلام إن صح الحديث وقال طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في عاته وبعد مغيبه بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره (١) لا يجوز لمن لا يطلب من أي كان :

حي ما وراء الأسباب الدنيوية :

و لا يكتفى ابن تيمية باعتبار حرمة مدد السؤال

إلى شيخ ميت أو نبي أو صاحب قبر ، بل إنه يعتبر طلب كل شيء يكون وراء الأسباب الدنيوية ويحصل بالقدرة الالهية أو بارادة كن فيكون ، وختصه الله بنفسه وإن كان ذلك إنساناً حياً ، يقول في رسالته «زيارة القبور» .

إن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مرضه من الأدميين والبهائم أو وفاة دينه من غير جهة معينة أو عافية أدهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهدایة قلبه وغفران ذنبه أو دخوله الجنة أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويرى نفسه وأمثال ذلك ، فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى ، ولا يجوز أن يقول ملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حياً أو ميتاً أغرى ذبي ولا انصرف على عدوى ولا اشف مريضى ولا عافى أو عاف أهلي أو داتي وما أشبه ذلك ، ومن سأله ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين بعدون الملائكة والآنساء والغائزات التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى للسيج وآمه ، (٢) .

(١) ملخصاً عن رسالة زيارة القبور ص ١٠٦ ، ١١٢ .

(٢) رسالة زيارة القبور ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

ما نعبدم إلا لاقربونا إلى الله زلف ، وقال سبحانه وتعالى :
، أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جيئاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون (١) .

و قال تعالى :

، مالكم من دونه من ول و لا شفيع أفلاتذكرون (٢) و قال تعالى :

، من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ، (٣) .

فهذا هو القسم الثاني وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن طلب أن يدعوك كما تقول للحي : ادع لي ، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبي عليه السلام الدعاء فهذا مشروع في الحي كما تقدم ، و أما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول ادع لنا ولا استدل لنا ربك ، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فيه حديث ، بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما أجدبوا زهراً رضي الله عنه استيق بالعباس و قال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسل إليك بنتينا فستينا و إنا توسل إليك بعم نبينا فاستقنا فيسقون ، ولم يجيئوا إلى قبر النبي عليه السلام قائلين : يا رسول الله ادع الله لنا واستيق لنا ونحن نشتكي إليك ما أصابنا ونحو ذلك ، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان .

وأما القسم الثالث وهو أن يقول اللهم بجاه فلان عندك أو يركه فلان أو بحرمة فلان عندك افعل في كذا و كذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أذكره إلا ما رأيت

(١) سورة الزمر ٤٣ ، ٤٤ (٢) السجدة ٤ (٣) البقرة ٢٥٥ .

ربيع الثاني ١٣٩٤

دون الله أولياء و شفعاء يجتذبون بهم المنافع و يجتذبون المضار ، (١) . وقد غالى العامة والجهلة و كثير من الخواص أيضاً إلى أن اتخذوا الأولياء و الصالحة واسطة بينهم وبين الله تعالى عدا الآنياء و الرسول ﷺ فكانوا يرجعون إليهم في كل شئ من الدعاء و الاستغاثة و التوكل و الرجاء ، يتحدث ابن تيمية عن الفرق بين هؤلاء وأولئك فيقول : « و من سوى الآنياء من مشايخ العلم والدين ، فمن أثبتم وساطته بين الرسول وأمهه يلغونهم و يعلموهم و يؤذبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك ، وهؤلاء إذا أجمعوا فاجتمعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلاله وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله و الرسول ، إذا الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من كلامه و يترك إلا رسول الله ﷺ ... وإن أثبتم وساطة بين الله وبين خلقه كالمحجوب الذي بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوانج خلقه ، فالله إنما يهدى عباده و يرزقهم بتسطيعهم ، فالخلق يستلهم وهم يستللون الله كما أن الوساطة عند الملك يستللون الملك الحوانج للناس لقربهم منهم و الناس يسألونهم أدياناً منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوساطة أفعى لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوانج ، فمن أثبتم وساطته على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب و إلا قتل ، و هؤلاء مشبهون لله شبهوا الخلق بالخلق و جعلوا الله أنداداً ، (٢) .

المشاهد بدعة قبيحة : يعارض ابن تيمية هذه المشاهد و المزارات أشد المعارضة التي كانت قد تحولت في العالم الإسلامي كله إلى مركز للشرك والبدع والفسق والفحوج واللوان من المنكرات ، و ظهرت فيه كفحة عظيمة ، و يعتبرها

(١) الواسطة بين الخلق و الحق ص ٤٦ (٢) أيضاً ص ٤٧ - ٤٨

حقيقة الواسطة : و يحتوى هذا الموضوع على بحث آخر يسمى بالواسطة أو التوسط ، و يقال لمن يخالفون أن يدعى الرسول أو الشیخ أو الولي أئمہ ينکرون الواسطة ، على أن المعلوم أن النبي هو الواسطة بين الخلق و الخالق ، و يستحيل الوصول إلى الله بدونه ، وقد تصدى ابن تيمية للرد على الاعتراض بطريق واضح ، وبين أن هناك مفهومين للواسطة ، مفهوماً حقاً متفقاً عليه وعليه أساس الدين كله ، و مفهوماً باطلاً لا أساس له اخترعه الناس ، وقد وضع حول هذا الموضوع رسالة مستقلة باسم « الواسطة بين الخلق و الحق » يقول فيها :

« إن أراد بذلك أنه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله بهذا حق ، فإن الحلق لا يعلو ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به و ما نهى عنه و ما أعده لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده . . . وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فإنهم يثبتون الوساطة بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره قال تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس (سورة الحج ٧٥) ومن أنكر هذه الوساطة فهو كافر باجماع أهل الملل ، (١) .

« وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم و هداهم يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركون حيث اتخذوا من

(١) الواسطة بين الخلق و الحق ص ٤٠ ، ٤٦

ربيع الثاني ١٣٩٢

أولاً ما كان أخفى مخالفة للكتاب والسنّة ، (١) .
المشاهد منحة الروافض والباطنية :

الذين أحدثوا بدعة المشاهد ، و وضعوا أحاديث تؤيد مذهبهم فيها ، و ذلك لأنهم معجبون في الحقيقة بقبور آئمتهم و مشاهدهم ، يقول :

القبور أهل البدع من الروافض و نحرهم الذين يعطّلون المساجد و يعظّمون المشاهد التي يشرك فيها و يكذب فيها و يتدعّل فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً فان الكتاب والسنة إنما فيما ذكر المساجد دون المشاهد كما قال تعالى : « قلْ أَمْرِ رَبِّيْ بِالْقُسْطِ وَأَتَيْمُوْ وَجْهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ » و قال : « وَأَنَّ الْمَساجِدَ اللَّهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » ، و قال : « إِنَّمَا يَعْمَرُ مَساجِدَ اللَّهِ مِنْ آمِنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، و قال : « وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ » ، و قال تعالى : « وَمِنْ أَظْلَمِ مَنْ مِنْ مَنْ مِنْ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرْ فِيهَا اسْمَهُ » ، و قد ثبت عنه عليه السلام أنه كان يقول : إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا يتخذوا القبور مساجد فاني آئمّةكم عن ذلك ، (٢) .

معظم هذه المشاهد والقبور مزورة : وقد حرق ابن تيمية أن معظم هذه

المشاهد والقبور مزورة مفترضة وما أحسن ما يقول في تأييد هذا المعنى : « وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَشَاهِدَ كَذَبٌ وَكَثِيرٌ مِنْهَا مُشْكِرٌ فِيهِ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْمَشَاهِدَ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي تَكْفِلُ اللَّهُ بِحَفْظِهِ وَلَلَّامَةُ لِعدَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، (٣) وَلَذِكَ فَقَدْ وَقَعَ فِيهَا التَّزوِيرُ بِصَفَّةِ عَامَةٍ ،

(١) الرد على الأخنقي ص ١٠٢ (٢) الرد على الأخنقي ص ٤٨ ، ٤٩

(٣) الرد على البكري ص ٣١٢

ابن تيمية خلافاً صريحاً للشرعية و بدعة قبيحة في الزمان المتأخر يقول في « الرد على البكري » :

« وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام ، و السفر إليها محدث في الإسلام لم يكن شئ من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور آئلائهم مساجد ، يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة رضي الله عنها : ولو لا ذلك لأبرز قبره و لكن كره أن يتخذ مسجداً ، و ثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا يتخذوا القبور مساجد ، فاني آئمكم عن ذلك ، (١) .

ويتفق فيقول : « و أيضاً فلما فتح المسلمون ستر وجدوا فيها قبور دانيل عليه السلام و كان أهل البلد يستسقون به ، فكتب في ذلك أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه : أن أحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً و ادفعه في الليل في واحد منها لئلا يفتن به الناس فيستسقون به ، فهذه كانت سنة الصحابة رضوان الله عليهم وهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين لهم بحسان على وجه الأرض في ديار الإسلام مسجد مبني على قبر و لا مشهد يزار ، لا بالحجاج ولا باليمين ولا الشام ولا مصر ولا العراق ولا خراسان ، (٢) .

ويقول في كتاب آخر

« و أما الحجاج إلى القبور و المتخدون لها أوئلها و مساجد و أعياداً فهو لآ ، لم يكن على عهد الصحابة و التابعين و تابعيهم منهم طائفة تعرف ، ولا كان في الإسلام قبر و لا مشهد يمحى إليه ، بل هذا إنما ظهر بعد القرون الثلاثة ، و البدعة كما كانت أظاهر مخالفة للرسول يتأخر ظهورها ، وإنما يحدث

(١) الرد على البكري ص ٢٢٣ (٢) الرد على البكري ص ٢٨٢ .

حملة التبشير النصراني على الاسلام في بنغلاديش

الأستاذ دنس وولكر
دائرة دراسات الشرق الأوسط جامعة ملبورن (استراليا)

اُلقى هذا البحث أمام الملحق السابع للتعرف على الفكر الاسلامي مدينة تيزى وزو، الجزائر، في تاريخ ١٧ / جادى الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، قبل ولادة بنغلاديش سنة ١٩٧١ كانت الارساليات النصرانية الأجنبية تعمل بنشاط بين أقلية غير مسلمين مهمتين في شرق باكستان : أي بين (أولاً) القبائل الصينية المغروية التي لا تكلم البنغالية و (ثانياً) بين الأقلية الهندوسية المتكلمة بالبنغالية، إن التربة التي أعطتها مدارس الارساليات لقبائل مثل الغارو والجاكماس (Garos and Chakmas) استهدفت إبطاء بنغالية تلك القبائل من خلال المحافظة على هجامتهم القبائلية كواسطة للعبادة والتعليم في عبد دينها المسيحي الجديد، اعتقد كثير من المسلمين البنغاليين قبل الانقلاب عن باكستان أن نشاطات المبشرين النصارى الأجانب بين تلك القبائل كانت تعوق نطور قومية موحدة في شرق باكستان لصالح الدول الغربية الانكلاوسكسونية التي طامنـت بـعـد الاستعمـار البرـيطـانـي فـي القرـن الثـامـن عشر دخـلـتـ فـي كلـ شـؤـونـ شـهـ القـارـةـ الهندـيةـ وـخـاصـةـ فـي البـنـعـالـ ، معـ أـنـ اـنتـشارـ النـصـارـانـةـ بـيـنـ الأـقـلـياتـ القـبـائـلـ خـالـقـ جـوـأـ منـ التـعـصـبـ الطـائـفـيـ لمـ يـسـاعـدـ عـلـيـ إـدـمـاجـهاـ فـيـ الحـيـاةـ الوـطـنـيـةـ الـعـامـةـ ، فـيـ سنـيـ ١٩٦٢ - ١٩٦٤ (ثلاث وستين وأربع وستين) نـشـتـ اـشـتـاكـاتـ طـائـفـيـةـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ بـيـنـ قـبـائـلـ الغـارـوـ وـالـبـنـغـالـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ، أـنـ اـسـتـعـمـالـ القـوـيـ الانـكـلاـوسـكـوـنـيـةـ لـهـذـهـ الأـقـلـياتـ وـأـعـمـالـ التـبـشـيرـ الـأـجـنـيـ بـيـنـهـمـ أـكـثـرـ وـضـوـحـاـ بـعـدـ اـسـقـلـالـ بـنـغـلـادـيشـ مـنـ باـكـسـتـانـ - ذـكـ الـاـسـقـلـالـ الـذـيـ أـيـدـهـ الـانـجـادـ السـوـفـيـ

وـكـثـيرـ مـنـهـاـ تـزـوـيرـ بـحـثـ لاـ يـسـتـندـ إـلـىـ أـصـلـ وـلـكـنـ يـنـخـدـعـ بـهـ خـالـقـ كـثـيرـاـ. قـصـصـ يـزـورـونـهـ لـأـنجـازـ أـغـرـاضـهـ مـنـ الـمـاـشـادـ : وـمـنـ الـفـتـنـ الـتـيـ كـانـتـ تـالـ روـاجـاـ بـيـنـ النـاسـ هـيـ أـنـ هـذـهـ الـمـاـشـادـ وـالـقـبـورـ توـفـرـ الشـفـاءـ لـأـرضـيـ الـمـزـمـنـيـنـ ، وـيـسـتـجـابـ عـنـدـهـ الدـعـاءـ وـكـانـ النـاسـ يـتـحـدـثـونـ فـيـ ذـلـكـ عـنـ تـجـارـبـهـ وـمـاـشـادـهـمـ الشـخـصـيـةـ ، وـلـكـنـ أـبـنـ تـيمـيـةـ لـمـ يـكـنـ لـيـأـثـرـ يـمـثـلـ هـذـهـ الـاـشـاعـاتـ وـالـدـعـاوـيـ الـكـاذـبـةـ مـاـكـانـ يـتـمـتـعـ بـهـ مـنـ الرـسـوخـ فـيـ الدـينـ وـقـوـةـ الـإـيمـانـ وـالـيـقـيـنـ وـلـمـ يـكـنـ لـيـتـرـكـ قـطـعـيـاتـ الـدـينـ وـمـنـصـوـصـاتـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ لـمـجـرـدـ يـاـنـاتـ وـرـوـاـيـاتـ يـدـلـيـ بـهـ النـاسـ ، إـنـهـ ظـلـ قـانـمـاـ عـلـىـ فـرـاسـتـهـ الـإـيمـانـيـ وـفـهـمـهـ النـيـرـ لـلـدـينـ وـأـثـبـتـ أـنـ هـذـهـ الـاـشـاعـاتـ وـالـدـعـاوـيـ كـلـهـاـ وـهـمـ لـاـ يـمـتـ إـلـىـ الـحـقـ وـالـصـدـقـ بـصـلـةـ مـاـ وـكـثـيرـاـ مـاـ كـانـ النـاسـ يـرـوـونـ عـنـ شـفـاءـ الـحـيـوانـاتـ وـالـبـهـائـمـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـاـشـادـ وـالـقـبـورـ ، وـلـكـنـ مـاـ ذـكـرـهـ أـبـنـ تـيمـيـةـ هـذـهـ الـاـحـدـاثـ مـنـ تـأـوـيلـ عـجـيبـ إـنـهـ يـسـتـلـفـ الـأـنـظـارـ وـيـنـورـ الـأـبـصـارـ ، إـنـهـ يـقـولـ :

وـكـانـ بـالـبـلـدـ جـمـاعـةـ كـثـيرـونـ يـظـنـونـ فـيـ الـعـيـدـيـنـ أـنـهـمـ أـوـلـيـاـهـ اللـهـ تـعـالـىـ صـالـحـونـ ، فـلـمـ ذـكـرـتـ هـلـمـ أـنـ هـؤـلـاءـ كـانـوـاـ مـنـافـقـيـنـ زـنـادـقـةـ وـخـيـارـ مـنـ فـيـهـمـ الـرـافـضـةـ ، جـعـلـوـاـ يـتـعـجـبـوـنـ وـيـقـولـوـنـ : نـحـنـ نـذـهـبـ بـالـفـرـسـ إـلـىـ بـهـاـ مـغـلـ إـلـىـ قـبـورـهـمـ فـتـشـقـيـ عـنـ قـبـورـهـمـ ، فـقـلـتـ هـلـمـ : هـذـاـ مـنـ أـعـظـمـ الـأـدـلـةـ عـلـىـ كـفـرـهـمـ وـطـلـبـتـ طـائـفـةـ مـنـ مـيـاـسـ الـخـيـلـ فـقـلـتـ : أـنـتـ بـالـشـامـ وـمـصـرـ إـذـاـ أـصـابـ الـخـيـلـ الـمـغـلـ أـبـنـ مـذـهـبـوـنـ بـهـمـ ؟ فـقـالـوـاـ : فـيـ الشـامـ نـذـهـبـ بـهـاـ إـلـىـ الـقـبـورـ إـلـىـ بـلـادـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ كـالـعـلـيـقـةـ وـالـمـنـقـيـةـ وـنـحـوـهـمـ ، وـأـمـاـ فـيـ مـصـرـ فـنـذـهـبـ بـهـاـ إـلـىـ دـيرـ هـنـاكـ لـلـنـصـارـىـ وـنـذـهـبـ بـهـاـ إـلـىـ قـبـورـ هـؤـلـاءـ الـأـشـرـافـ ، وـهـمـ يـظـنـونـ أـنـ الـعـيـدـيـنـ شـرـفـاءـ مـاـ أـظـهـرـوـاـ أـنـهـمـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ ، فـقـلـتـ : هـلـ نـذـهـبـوـنـ بـهـاـ إـلـىـ قـبـورـ [البـقـيـةـ عـلـىـ صـ ٨٢]

ربيع الثاني ١٣٩٤هـ

المسحيين الجدد من المندسة على اتخاذ الانجليزية كافية أم و نسان ب غالبة ، إن المبشرين النصارى جعلوا منهم انكلوسكسونين سرا و الغريب أن أولئك النصارى الجدد يسمون أنفسهم (Anglo-Indians) وفي مواقف الفاحشة تصبح تسامم (Oh My Godmother) يعني يا عراتي أو يا شيتني أو يا أمي في العياد) خاصة في الكنيسة الكاثوليكية تكون للنصارى السمر عضوات يضاولات من نفس السكينة مقيمات في أمريكا و إنكلترا براسن + أطفالهن + ويقدمن هدايا بسيطة من حين إلى آخر ، فهكذا يصبح إنما النصارى البنغلاديشيين إلى الغرب شيئاً شخصياً و ماجوظاً بعد ما كان عقائدهم مجردآ ، إن المواقف السياسية للنصارى البنغلاديشيين تختلف تماماً عن مواقف مواطنهم المسلمين ، فالملعون المثقفون مثلما يعارضون وجود أمريكا في فيتنام بشدة في حين أن النصارى البنغلاديشيين يقدسون أمريكا ويدافعون عنها بمحنة ، فرغم اختلاف استراتيجية المبشرين النصارى الأجانب ما بين القبائل الغير بغالبة وما بين الأقلية الهندوسية البغالية من جانب آخر ، فالنتيجة كانت واحدة : خلق أفيالات لغوية لا تكفي إلا كراهية إزاء الثقافة البنغلاديشية و لادها المطلق وقت أي أزمة في علاقات بنغلاديش مع الغرب بوجه نحو أمريكا ، وما لاحظه التباغلة المسلمين بكثير من الاستياء أن طرائق نشر الدعوة النصرانية في بنغلاديش ، وخاصة في فترة تسعينيات المبشرين الأجانب بعد الانفصال من باكستان ، صريحة في استعمال رشوة إغراءات و مرغبات مادية ، وفي مجالات الارساليات الدولية ما يدل على صحة هذه التهمة ، فقالت فيشون (Vision)، المجلة الناطقة بلسان الجمعية المعمدانية الاسترالية للتبشير Australian Baptist Missionary Society في عدد أكتوبر سنة ١٩٧٢ (ألف و تسعة مائة اثنين و سبعين) أن عادة

و عارضه بالبداية الولايات المتحدة ، فأبرق مراسل ستيسن و بكل Statesman Weekly of Calcutta عدد ١٥ إبريل سنة ١٩٧٢م من منطقة آتلال شيئاً غونغ حيث تسكن الأقليات غير بغالبة في منطقة استراتيجية ووعرة جداً على حدود بنغلاديش الدولية و حيث تربية في أيدي المبشرين النصارى الآجانب فقط - أبرق المراسل الهندي أن سقطا عليها علامات منظمة غوث دولية انكسرت مصادفة فاستكشف داخله ليست أدوية ، ولا أطعمة ولا أناجيل بل رشاشات و ذخائر نارية ، إن هذه الحادثة أثارت ضجة كبيرة داخل بنغلاديش فطلب بعض العناصر القومية طرد المبشرين الآجانب من كل مناطق الأدغال الاستراتيجية التي تسكنها هذه الأقليات التي صعب على موظفي حكومة بنغلاديش الإشراف على المبشرين فيها و بالفعل ثبت ما سميت باتفاقية مصغرة انفصالية في منطقة آتلال شيئاً غونغ بين قيائين الشاكما والميزو ضد إدارة بحير الرحمن ولكن أي طرد كان على الأرجح أن يسبب أزمة في العلاقات بين الولايات المتحدة وبنغلاديش وعن قريب بعد ذلك تحسنت العلاقات بين البلدين ، فابتدأت بنغلاديش تحصل على مساعدات و معونة للتنمية الاقتصادية من الولايات المتحدة في المبشرون حيث هم ، فمن الممكن أن وجودهم بين الأقليات القبائلية وسيلة صنف داخل في أيدي الأميركي على بنغلاديش يستعمل في المستقبل أن اقتضي الأمر كسلاح من أسلحة سياسة أمريكا الخارجية في شبه القارة الهندية . كانت استراتيجية المبشرين النصارى نحو النصارى الجدد من بين الأقلية الهندوسية في بنغلاديش شيئاً آخر ينفيه و لكن نفس الشيء يتحقق ، يمكّن أن المبشرين النصارى الآجانب يجهزوا النصارى الجدد من بين الأقليات المنغولية المقيدة في مناطق الحدود الدولية على الاحتفاظ بهاجاتهم الأصلية ولكنهم يشعروا

ربيع الأول ١٣٩٤

نطاق واسع في البنغال منذ بجي الاستعمار البريطاني إلى الهند الهم لا استعمال بعض المبشرين النصارى سلاح الطعام لكي يفرضوا النصرانية على الفلاحين المسلمين البنغاليين إبان مجاعة كبيرة في بنغال حوالي نشوب الحرب العالمية الثانية إن منطق التبشير كان أن فظائع جنود باكستان الغربية في شرق باكستان قد أثبتت للبنغاليين المسلمين أن الأخوة الإسلامية وهم وأسطورة وأن الدين الإسلامي الذي جاء بهذه الأخوة كذلك أسطورة وأن المسلمين وبالتالي سيعتنقون النصرانية لأن المنظمات النصرانية المختلفة قد أسرعت بالمعونة والغوث إثباتاً لأن الأخوة المسيحية حقيقة تختلف تماماً عن الأخوة المزيفة التي في الإسلام ، كما زعموا . فقالت نشرة دعائية تجمع التبرعات من الجمهور النصراني في استراليا في هذا الصدد فيما سمعه ، «تخطيطنا بنغلاديش » : « ولدت أمة جديدة ، - بنغلاديش . قد جاءت فرص فريدة للدعابة إلى الانجيليين المسلمين . قد خابت الأمال و الثقة بالاسلام خاصة بين الطلبة . إن المسلمين قتلوا إخوانهم المسلمين إبان حرب ألف و تسع مائة واحد و سبعين . و بعض القواد الدينيين المسلمين تعاونوا مع الجيش الباسكتاني المحتل . إن صورة الدين المسيحي في بنغلاديش اليوم براقة . إن الشباب المسيحيين كانوا في طبيعة النضال من أجل التحرير ، قد فتح المسيحيون يومهم أمام أناس محتاجين أيام الحرب قد قادت الكنيسة المسيحية عمليات الغوث والإنقاذ . فلندع رب أن يرسل أزواجاً جددآً إلى بنغلاديش عملهم ومهنتهم سيكونان التبشير بالإنجيل بين المسلمين - لا أن يكسبوا معتقدين فقط ، بل معتقدين يكسبون بدورهم معتقدين آخرين . سيحدد لهم فترة معينة لإنما المهمة . إن المعمدانين الاستراليين سيجمعون التقادم لهذا التقدم الانجيلي . ولكن لعدة أسباب لم ينجح خطاط التبشير المعمداني على النطاق الذي كانوا

النصارى المعمدانين الاستراليين في إرسال طرود الأطعمة بالبريد الجوى إلى نصارى بنغلاديشين حيدة ولكن واجب أن يكفووا عنها الآن لأن ضرائب الجمارك في بنغلاديش قد أصبحت مانعة ، أن يستعمل المبشرون النصارى الآجانب هدايا طعام كوسيلة ضغط أو رشوة لتصير شعب مليون جائع يدل ولا شك على عنصرية يضاء رهيبة ، كان ظنى أن هذه الأشياء انتهت بانهيار مهد الملكة فكتوريما في إنكلترا وأنباء المبشرين العنصريين لرأية التوسيع البريطاني الاستعماري ولكنني أخشى الآن أن (نصارى الأرض) الذين أنتجهم الاستعمار والتبشير في الصين في القرن التاسع عشر لهم ظاهرة متوازية في « نصارى طرود الأطعمة » ، الذين يحاول التبشير الأيض الأجنبي لاتاجهم اليوم في بنغلاديش .

منذ استقلال بنغلاديش من باكستان قد أصبح واضحـاً أن نشاط التبشير النصراني بين الأقليات الغير مسلمة قبل الاستقلال لم يكن إلا وسيلة لخلق رأس جسر سكاني نصراني في البلاد و أن المدفـ الحقيقـ من هذا النشاط ليس إلا السبعين مليون مسلم بنغاليين الذين يسكنون البلاد ، كانت من المنظمات التبشيرية الدولية الرئيسية التي قادت الحملة على الإسلام في بنغلاديش الحديثة الاستقلال والمدرسة زراعياً و اقتصادياً منظمة لجنة حلف الغوث المعمداني العالمي (Baptist World Alliance Relief Committee) التي مقرها الإداري في مدينة واشنطن ، إن للمعمدانين دوراً بارزاً وخطيراً في بنغلاديش المستقلة نتيجة لوفرة خبرتهم وتجاربهم في المنطقة فهم هناك في بنغلاديش منذ أكثر من ثمانين سنة ، ولكن الآن لأول مرة اتخذوا برنامجاً منسقاً على الصعيد الدولي يستعمل أسلحة اقتصادية من غوث و إنقاذ اللاجئين إلى آخره لفرض النصرانية على المسلمين البنغاليين ، هذه كانت أول هجوم هادف ضد الإسلام على

الشبان المسلمين من سبب عدم وجود مكتبات حكومية فذلك يقرأون «الأنجيل» في البنغالية، وللمعدانيين كذلك في مدينة يمينسينغه بينما بقرب قاعة المدينة تعرض أفلاماً تبشيرية ينظر إليها عمال وشبان المدينة معاً. لهم كذلك صيدليات ومستشفيات في مناطق متقدمة كمثل جويرا مكورا (Joyramkura) فلا بد من العمال وال فلاحين المسلمين من الدعاب إلى تلك العيادات حين المرض لعدم غيرها فذلك لا ينجون من مواعظ تبشيرية صارخة يلقاها الأطباء والمرضات المبشرة، وأخيراً للمعدانيين منهاج دراسي للتعرف على المسيحية بالراسلة قد دخل فيها حسب زعمهم أكثر من ألف طالب جامعي أو طالب كلية - فلهم لاثبات أثر هذا منهاج بعض الحاضرين في الكليات والجامعات المحلية ومستشار شباب في فندق الطلبة يمينسينغه كلهم يدعون طلبتهم إلى النصرانية. قد صرف هؤلاء المبشرون المعدانيون ملايين الدولارات منذ استقلال بنغلاديش لتوسيع هذه المشاريع.

الأطفال

تناول الآن بعد آخر للحملة التبشيرية - محاوتها فرض النصرانية من خلال إرهابها الروحي على جزء السكان الأكثر عجزاً وإعداماً والأقل قدرة على الدفاع عن النفس ثقافياً، الأطفال البتائي والجائعين، بعد ما فقدت تلك المنظمات التبشيرية الأمل في كسب السكان البالغين عن طريق حوار ديني عقائقي. هذا هو مفزي نظام (Child Sponsor ship) رعاية الأطفال الذي يقوم به من المنظمات الممثلة في بنغلاديش (World Vision) منظمة البصيرة العالمية التي مقرها الإداري في كاليفورنيا بالولايات المتحدة. إنها قد قوت موقف أمريكا السياسية في جنوب شرق آسيا بتوسيع صفوف الأقليات النصرانية الموالية للغرب أولاً في كوريا حيث أست في ١٩٥٠ وفي جنوب فيتNam في تحركات لالمعدانيين مكتبات في بعض المدن الريفية في بنغلاديش يتردد عليها بعض

يأملون بعد استقلال بنغلاديش . السبب الأول أن العناصر القومية في بنغلاديش نظروا بسوء ظن نحو اعتناق المبشرين المعدانيين الصارخ للقومية البنغالية في الساعة الحادية عشرة لأن المعدانيين كان لهم علاقات وثيقة بالسلطات الباكستانية ما قبل التحرير ، فظن بعض القوميين أن المبشرين المعدانيين منافقون في حماستهم البنغالية . و هذا بالفعل صحيح إلى حد بعيد فالسلطات الباكستانية كانت ترحب بـ المبشرين تعبيراً عن التخاذل وعدم الاهتمام اللذين ميزا مواقف إدارة غرب باكستان في بنغلاديش . قالت فيشون في ديسمبر ١٩٧٠ (سنة ألف و تسع مائة و سبعين) إن « شرق باكستان أسهل بلاد دخولاً من بين كل البلدان التي خدم فيها . الباب مفتوح على مصراعيه لكن تذهب بالإنجيل إلى الملايين في تلك البلاد ، حتى حين كانت حرب الاستقلال على أشدّها كتب فيشون (أكتوبر ١٩٧١) إن « الباب مفتوح على مصراعيه . لا تحتاج إلى تاريـم دخـول خـاصـة حتى الآن ، من حـكومـة باـكـسـ坦 . فـتحـت ضـغـطـ من صـحفـ وـمـجلـاتـ بنـغـلـادـيشـ الصـادـرـةـ بـالـلـغـةـ البنـغـالـيـةـ ،ـ الـقـيـاسـةـ وـصـفتـ مـنظـمـاتـ التـبـشـيرـ وـخـاصـةـ المـعـدـانـيـنـ كـسـلاحـ فـيـ بـدـ باـكـسـ坦ـ لـتـضـيـقـ نـطـاقـ الـقـومـيـةـ البنـغـالـيـةـ لـغـواـيـاـ اوـ تـأشـيرـاتـ دـخـولـ خـاصـةـ مـاـ جـعـلـ مـجـلـةـ فيـشـونـ تـصـرـخـ (عدد مـارـسـ)ـ أنـ الحـكـومـةـ البنـغـلـادـيشـ تـخـدمـ الشـيـطـانـ -ـ مـاـ جـعـلـ بـدـورـهـ صـحـيفـةـ « بنـغـادـارـپـانـ (Bangadarpan)ـ نـطـالـبـ مـجـبـ الرـحـنـ بـطـردـ كلـ المـبـشـرـينـ النـصـارـىـ وـ كـلـ رـجـالـ مـنظـمـاتـ الغـوثـ الـاجـانـبـ مـنـ أـرـضـ بنـغـلـادـيشـ لـلـفـورـ نـظـراـ لـنـدـخـلـ المـبـشـرـينـ فـيـ مـشـورـاتـ الـخـارـجـةـ فـيـ سـيـاسـةـ الـبـلـادـ الدـاخـلـةـ .ـ

ربيع الثاني ١٣٩٤

إن هذه المنظمة قد خططت لإقامة برنامج رعاية الأطفال على طراز برنامج سايغون في داكا مع انتهاء هذه السنة (١٩٧٣) مستعمل من خلال الكنائس النصرانية البنغلا ديشية المسماة (وطنية) ولكن ، مكتب ميدان ، من موظفين أجانب يضيئون سترف على البرنامج .

منذ الاستقلال سالت منظمة الـ YMCA المحلية في بنغلاديش منظمة الـ YMCA الدولية أن تعطيها أموالاً و موظفين للهداية والاشراف . فالمنظمة ليست الآن منظمة بنغلا ديشية محلية بل وسيلة في يد منظمات التبشير الدولية . إن الـ YMCA البنغلا ديشية تفق خمسين ألف دولار لفتح خمس ملاجئ للإيتام في داكا . و تفتح كذلك مراكز تسليمة للأولاد في داكا و تشينا غونغ بجهتها في النهار الأولاد الذين لا ملجأ لهم نتيجة للحرب ينظرون إلى الأفلام و يلعبون الرياضة و يتلقون القراءة و يسمعون التبشير النصراني . عدد الإيتام والأولاد بلا بيوت ضخم جداً في بنغلاديش فهم هدف مفتر للبشرين البعض النصارى في حملتهم على عقيدة الإسلام .

حتى الآن لم تسجل منظمات التبشير نجاحاً كبيراً في غسل دماغ الأطفال المسلمين البتامي و الذين لا مسكن لهم . ولكنها قد ابتدأت توثر في عقول النساء و إن أذنت حكومة بنغلاديش لل بصيرة العالمية مثلاً أن تتدنى برامج رعاية الأطفال المدرسين بانتهاء هذه السنة فممكن أن بعد ستين سنة ستكتسب النصرانية آلاماً من العقول الصغيرة من البتامي والأطفال المعدمين . إن ساعدت الدول العربية الغنية بالنفط والتي لها علاقات دبلوماسية في بنغلاديش في إقامة برامج و ملاجئ ، عمالة ، أمكن إيقاف هذا التيار الصليبي . [في أواخر ١٩٧٣ ابتدأت بصيرة العالمية تفذ برنامج رعاية للأطفال في بنغلاديش بالفعل] . دينبع

أمريكا لمواجهة تحدي الحركة الشيعية . فتحت نظام البصيرة العالمية يصبح كل من ثلاث وعشرين ألف طفل فتامين تحت رعاية « عراب » ، أيض في بلاد غربة نائية ، فهذا العراب يبعث بأحد عشر دولاراً شهرياً إلى المدير الميداني لل بصيرة العالمية في سايغون مثلاً فالمدير يستعمل النقود لتقديم طعام و ملابس ، وأدوية وتربيه في مدرسة ابتدائية إلى طفل جائع أو يتيم . تقول نشرة « البصيرة العالمية » ، الإعلامية أن « الأطفال يتلقون تعليماً مستمراً في دين المسيحية لطول منهاجهم المدرسي » ، إن البصيرة العالمية هي التي تختار مدرسة الطفل ، ليس لأنه أو أقاربه الباقيون ، بحجة أن هذا النوع من غسل الدماغ في مدرسة نصرانية « خدمة كنسية نحو حاجات الطفل المجموعة » . إن المنظمة بقوتها « تجمع ما بين عمل الغوث الاجتماعي و التوسيع التبشيري » . فكل مساعدة أساسية من المنظمة تحمل ثمنها الروحي : التنصير . تقول المنظمة دفاعاً عن اتهامها لحركة ضمير المستفيد من برامجها أن (رغم إجبارية التعليم النصراني) « ليست الديانة المسيحية شرطاً مسبقاً للاستفادة ، إن معنى هذا أن التمييز الديني الذي تفرضه المنظمة على ضحاياها الأطفال الآسيويين مندوج . - تختار نسبة من الأطفال المسيحيين أكثر من نسبة النصارى في سكان البلاد المعنية ، والأطفال الغير نصارى الذين يترددون على مدارس المنظمة هم بدورهم مجبرون على استلام دروس في دين دخيل و إلا أعادتهم المنظمة إلى البحث عن طعام في سلات المهمـلات و من العجيب أن باربارا فيرغيسون (Barbara Ferguson) المشرفة على مدارس البصيرة العالمية في سايغون ، وصفت جنوب فيتنام « بلاد مسيحية ولدت خلال أهوال الحرب (World Vision Autumn 1973) رغم أن نسبة النصارى فيها لا يفوق نسمة خمس عشر بمائة !

أن هذه من الشياطين تغرى الانسان بمحب الامكان فان كان من لا يعرف دين الاسلام أو قعنه في الشرك الظاهر والكفر المحس فامرته أن لا يذكر الله وأن يسجد للشيطان ويدفع له وأمرته بأكل الميتة والدم و فعل الفواحش وهذا يحرى كثيراً في بلاد الكفر المحس وبلاط فيها كفر وإسلام ضعيف ويحرى في بعض مدنان الاسلام في الموضع الذي يضعف إيمان أصحابها ، حتى قد جرى ذلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها وهو في أرض الشرق قبل ظهور الاسلام في النار كثير جداً وكلما ظهر فيهم الاسلام وعرفوا حقيقته قلت آثار الشياطين فيهم (١) .

يقول ابن تيمية إن ذلك لا يحدث مع الصالحين فقط ، بل يحدث ذلك لبعاد الكواكب أيضاً ، ويحصل لهم مثل هذه الانتصارات والأحسىس : «والذين يدعون الكواكب تنزل عليهم أشخاص يسمونها روحانية الكواكب وهو شيطان نزل عليه ما أشرك لغويه كما تدخل الشياطين في الأصنام ونكلم أحياناً بعض الناس و تراها للسيدة أحياناً ولغيرهم أيضاً (٢) .

مهمة ابن تيمية الاصلاحية وتأثيرها : إن القرنين السابع والثامن (وقد مضى الحديث عن خصوبتها وإنتاجاتها في أول الكتاب) وإن كانوا حافظين بكتاب العلامة و الشيوخ ، وكان العمل في كل مجال من مجالات التأليف والوعظ والارشاد والدعوة والتبلیغ مستمراً بكل قوة لا يترك مجالاً للشك في أن العلامة الراسخين و حملة الكتاب و السنة يكونون قد استنكروا هذا الشرك الجلي والباطلية الوثنية كل الاستكار ، وخالفوها بالقلم والسان ، ولكن كبار العلامة الذين رفعوا راية الجهاد ضد هذا الوضع ، وتصدوا لمقاومة هذه الفتنة الكبرى

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١١٨ . (٢) كتاب النبوات ص ٢٧٤ .

{بقية المنشور على ص ٧٢}

صالحي المسلمين مثل قبر البت بن سعد والشافعى و ابن القاسم وغير هؤلاء ؟ فقالوا : لا ، قلت لأولئك : اسمعوا إنما يذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين وينت لهم سبب ذلك ، قلت : لأن هؤلاء يذهبون في قبورهم والبهائم تسمع أصواتهم كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح فإذا سمعت ذلك فزعت ، فسبب الرعب الذى يحصل لها تحل بطونها فتروث ، فإن الفزع يقتضى الاستهلال ، فيعجبون من ذلك ، وهذا المعنى كثيراً ما ذكره للناس ولم أعلم أحداً قاله ، ثم وجده قد ذكره بعض العلامة (١) .

تمثيل الشياطين لبشر كين : ويتحدث ابن تيمية عن علة ما يحدث على قبور الأولياء والصالحين من استجابة الدعاء وانقضاء الحاجة ، ومن كلام صاحب القبر و زيارته ، فيقول :

«وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته وربما تفضي بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه أو أنه ملك تصور على صورته وأن هذا من كراماته ، فيزداد به شركاً و فيه مغالاة ، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعيداً الأوثان ، حيث تراها أحياناً لمن تبعدها و تخطبهم بعض الأمور الغائبة و تفضي لهم بعض الطلبات ، ولكن هذه الأمور كلها بداعٍ محدثة في الاسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة (٢) .

و يقول في مكان آخر :

إن هذه الشياطين تصور على صورة المستغاث به ، وحکى لي غير واحد من أصحاب الشيوخ أنه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك ، وحکى خلق كثير منهم استغاثوا بأحياء وأموات فرأوا مثل ذلك واستعنوا بهذا حتى عرف

(١) الرد على البكري ص ٣١٠ - ٣١١ . (٢) أيضاً ص ٢٣٣ .

الفصل الإسلامي

حقائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

فضيلة الأستاذ أمين عبد الله القرقرى
المدير العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

الحقيقة الأولى :

إن جميع القوانين والنظم الإنسانية قد انبثقت عن العقائد الدينية وارتبطت بها ، وقد أكده هذه الحقيقة الخبير القانوني المعروف السير هنرى مين بقوله : لا يوجد مثال واحد في القوانين التي تم تسجيلها من قانون الصين إلى بيرو إلا وكان ذا علاقة بالعبادات الدينية منذ بداية أمره ، كما نقل ذلك عنه الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه *القيم والاسلام يتحدى* .

ويؤكد هذه الحقيقة تاريخ الفكر السياسي منذ أقدم العصور فقد كانت العقيدة الدينية هي المصدر الأول والوحيد للنظم السياسية والقانونية في الدول القديمة التي سبقت دول العالم إلى إيجاد النظم السياسية وهي مصر واليونان والرومان ، وقد ذكر الدكتور أن بطرس غالى و محمود خيرى عيسى في كتابهما *المدخل في علم السياسة* ، أن الفكر السياسي ارتبط بالفكرة الدينية من حيث المبدأ في عصور الدولة القديمة في مصر كما ذكرنا عن الفكر السياسي الأفريقي ما نصه :

و جمجم دول المدينة نظام اجتماعية و دينية واحدة ص ٦٥ .

وأكده هذه الحقيقة الفيلسوف البريطاني الراحل بورلاند رسل في كتابه

رغم اشتغالهم وبحثهم في العلم ، و خاطبوا عقول الجماهير و تبنوا مهمة الرد على الشرك الصريح ، و جعلوها غاية حياتهم إماماً يكن لهم وجود أو وجوداً ، ولكن التاريخ سكت عنهم ، أو أنهم لم يكونوا يتمتعون بمكانة عالية في العلم والدين ولم يخلفوا أى ذخيرة عالية ذات قيمة كبيرة في هذا الموضوع تجدد شخصيتهم و مهمتهم الاصلاحية حيناً آخر .

والحقيقة أن مقاومة هذه الفتنة العامة و شرح عقيدة التوحيد ، و بعث الفكر الإسلامي الصحيح ، واستعراض هذه التقاليد و العقائد المشتركة التي كانت تغطي المجتمع و تسيطر عليه ، و الرد عليها ردآ قوياً حاسماً كل ذلك كان يحتاج إلى شخصية ابن تيمية القوية ، و طبيعة التوحيد تأبى أن تلوذ بالتأويل والمراءة ، إنما تتطلب خطاب الأنبياء الواضح الحاسم وأسلوب دعوتهم الصريح الذي يتسم ببساطة و الفرقان ، ولا شك أن ابن تيمية إنما قام بمسؤولية النيابة عن الأنبياء في عصره ، و عمل بمصداقه فاصدح بما تومن و أعرض عن المشركين ، حتى إن هذه العقائد والتقاليد الباطلة التي كانت قد عممت في المجتمع الإسلامي باختلاط غير المسلمين و صحبتهم و تأثير الفرق الضالة والمغرضين قد انهزمت و ذهبت ريحها و تمثلت عقيدة التوحيد التي تركز عليها دعوة الأنبياء و تعتبر غايتها الكبرى بلامح أوضح و أجمل من جديد ، ليهلك من هلك عن يمنة و يحيى من سعى عن يمنة .

إن هذا العمل الذي قام به ابن تيمية كفاء دليلاً على ما كان يلمع به من مكانة عالية في مجال الاصلاح و التربية و الدعوة و التجديد ، وقد وجد بتأثير كتاباته و مؤلفاته رجال من أهل الدعوة و التربية بين حين و آخر من رفعوا راية الجهاد ضد هذه التقاليد و الوثنية الجاهلية ، بكل صدق وإعلان كبيرين أرجح لهما العالم الإسلامي .

ربيع الثاني ١٣٩٤

الصراع بين الواجب تجاه القانون البشري والواجب حيال القانون الالهي ، و أكد أن الإنسان لا يستطيع أن يلغي قوانين السماء الحاددة التي لا تهنى . وقد أشار إلى هذا النص الأستاذ جورج سبain أستاذ الفلسفة بجامعة كورنيل الأمريكية في الجزء الأول من كتابه «تطور الفكر السياسي» وقرر أنه بفضل المقارنة بين القانونين الالهي والوضعى وإبراز الفارق بينهما ، في النص المشار إليه ، اتسع المجال لنقد القواعد النظم الوضعية ، ورفض الآثار التي تنتج عنها وأصبح هذا النقد يتجدد خلال تاريخ الفكر السياسي .

ومن المؤكد أن من أبرز الأدلة التي توكلت ارتباط القوانين بالعقيدة الدينية ، الأثر الكبير الذي تركه نظرية القانون الطبيعي كما صاغها المفكر الروماني شيشرون في الفكر الغربي منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن التاسع عشر كما قرر ذلك الأستاذ جورج سبain في كتابه المشار إليه آفأ .

ويقرر شيشرون في نظريته «إنه يوجد قانون ينشق من واقع حكم العادة الالهية للعالم كله ، لا يحرز تعطيل أحكامه بتشريعات من صنع البشر ، لأنه ملزم لكل الناس في كل وقت ، فلن يكون الناس أبداً إلا حاكم واحد هو الله مشرع هذا القانون و الذي يعصي حكم هذا القانون من الناس خليق بأن يغرس شر العقوبات ولو نأى عن عواقب مخالفة التشريعات الوضعية » .

- ص ٢٤١ ج ٢ - .

ويؤكد حقيقة انطلاق الفكر الانساني من القاعدة الإيمانية أن الفيلسوف لو جست كونث يرى أن العقل الانساني مر بأدوار ثلاثة: دور الفلسفة الدينية ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، ومع أن هذا الفيلسوف يعتبر الدور الواقعى للفلسفة هو آخر الأطوار وأسمها ، و هو ما لا يقرره

(٨٧)

، تاريخ الفلسفة العربية ، ترجمة الدكتور ذكي نجيب محمود بقوله : إن الفكر اليونانى كانت تسوده إلى عهد أرسطو روح الولاء الدينى و الولاء الوطنى للدينية التي يتبعها الفرد ، - ص ٨ .

ويؤكد هذه الحقيقة أن الوعي الإسلامي الأستاذ علال الفاسي نقل في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية» عن كتاب «أصول تاريخ القانون» ، أن جماعة من العلماء الألمان والبريطانيين قاموا - في القرن الماضي - بابحاث دراسة النظم القانونية لدى الشعوب القديمة ، وانتهت أبحاثهم إلى نتيجة واحدة مع أنهم اختاروا لها ميادين مختلفة - إذ تبين من هذه الدراسات المقارنة أنه كانت توجد لدى أغلب الجماعات القديمة أحكام - قبل نشوء العرف - مصدرها العقيدة الدينية ، و إن هذه الأحكام تحولت فيما بعد إلى عرف بتكرار الحوادث ، وقد أيد هذا الرأي العلامة سعيد بن في كتابه «القوانين» و غيره من مؤلفاته ، و نقل الأستاذ علال الفاسي عن الدكتور سليمان مرقس قوله : «و قد عرف الإنسان الدين قبل أن يعرف القانون ، بل إن قواعد القانون الأولى كانت في بدء نشأتها قواعد دينية وكان القانون في كل مجتمع ينشأ معتمدآ على الدين» .

ويستند كثير من علماء الديانات المقارنة و علماء الاجتماع - كما ذكر الأستاذ علال - إلى التشابه الموجود في نشأة القانون و العرف في كل الجماعات البشرية ليؤكدوا أن المصدر واحد و هو الوحي الالهي الذي نزل على المصطفين الآخيار ليربوا المجتمعات البدائية بما يناسبها من حكمة و علم .

وما يؤكد ابتعاد القوانين عن العقيدة الدينية و ارتباطها بها ، ورفض الإنسان المؤمن لقواعد الوضعية وجود نص في الأدب الأفريقي عاج موضع

(٨٦)

وأصدره في عام ١٩٢١م في أكثر من موضع ، كا نقل الأستاذ جنسين في الجزء الأول من كتابه « مؤامرة فلسطين » اعترافين عن دور الصهيونية في هذه الحركة أو لعلها من كتاب « مسؤولية العقبة » تأليف اللورد أوستام بيرس ، و ثانيةً من كتاب « حكم أسرة روتشيلد » تأليف الكونت كورنيليوس الصادر في عام ١٩٢٨م ، ومن قبل هذه الاعترافات نشرت مجلة أكاسيا الإيطالية الماسونية في عددها السنوي لعام ١٩٠٤م اعترافاً بأن الماسونية هي التي هيأت لحركة عام ١٧٨٩م كما جاء في كتاب « أسرار الماسونية » للجناح التركي محمد جواد رفعت .

وفي ضوء هذين الدليلين القاطعين يتضح أن التآمر الصهيوني هو الذي حال دون استمرار تأثير العقيدة الدينية على القوانين الأوروبية ولو لا هذا التآمر لبقى تأثير الدين - في أوروبا نفسها - على كل القوانين .

الحقيقة الثالثة :

إن القواعد العامة في الشريعة الإسلامية لا تقبل التغيير ولا التبدل ، أما التطبيقات للأحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة ، فإنها قد تتغير فيها الأحكام تبعاً للتغيرات المصالح والأزمان ، كما جاء في إجابة الجانب السعودي على أسئلة الوفد الحقوقي الأوروبي في الندوة التي عقدت في الرياض في شهر صفر من عام ١٤٩٢ .

وإن هذه القاعدة الأصولية الإسلامية هي التي انتهى إليها خبراء التشريع الغربي باقتناعهم بضرورة وجود عنصر في التشريع يتمتع بالدراهم والأبدية ، مع عناصر تتصف بالمرونة ، وقد عبر عن هذا الاتجاه السليم القاضي الأمريكي

اتجاه الفلسفة في هذا العصر ، فإن الذي يهمنا من رأيه اعترافه بأن الإيمان هو المطلق الأول للفكر الإنساني .

وما يؤكد هذه الحقيقة قول الفيلسوف هنري برجسون : لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم أو فنون ، وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعات بغير ديانة .

الحقيقة الرابعة :

حين يرجع الباحث إلى تاريخ الفكر السياسي في العالم يجد أن الأمم لم تعرف مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا في بداية العصر الحديث ، وقد قال الفيلسوف البريطاني برتراندرسل وهو يتحدث عن تطور فكرة سيادة الولاء الديني في أوروبا مانبه : إن سيادة الولاء الديني على الولاء السياسي ظلت قائمة وهي - إلى حد ما - لا زالت قائمة ، انتهى النص .

ولولا التآمر الصهيوني على العالم وعقائده الدينية لبقى تأثير الدين - في أوروبا نفسها - على كل القوانين ويكفي هذه الحقيقة دليلاً الأول : قول الفيلسوف هيربرت ميفيرن « بعد الحركة الوطنية الفرنسية في عام ١٧٨٩م أخذ المشرعون الأوروبيون في تجريد القوانين من كل حالة مساس بالدين والأخلاق والفضائل الإنسانية ، فافتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الأفراد وما يمس الأمان ونظام الحكم .

الثاني : إن الحركة الفرنسية المشار إليها ليست إلا مرحلة من مراحل التآمر الصهيوني على العالم ، وقد اعترف بدور الصهيونية في هذه الحركة مؤلفوا كتاب « اليهودي العالمي » الذي أعده المليونير الأمريكي هنري فورد

ربيع الثاني ١٣٩٤

الطفرة والاندفاع ، ويجعله يتم على صورة يتصل فيها الحاضر بالماضي ، - نظرية القانون . د . عبد الفتاح عبد الباقي ص ٧٣ - .

إن القواعد العامة التي لا تقبل التغيير في الشريعة الخالدة هي كما قال الفقيه الأصولي الكبير أبو إسحاق الشاطبي في كتابه *القيم الموافقات في أصول الشريعة* ، كلية أبدية وضعت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها في الخلق حسبما بين ذلك الاستقرار ، فذلك الحكم الكلى باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد ذكر العلامة أبو الأعلى المودودى في كتابه *القانون الإسلام وطرق تفديه* ، أن القواعد العامة التي لا تقبل التغيير تقسم إلى ثلاثة أقسام - ص ٤٢ / ٤٤ - :

الأول : الأحكام الصريحة القطعية الواردة في القرآن والحديث الثابتة كحرمة الربا والميسر وحدود الجرائم وتقسيم التركة .

الثانى : القواعد العامة ، كحرمة كل بيع لا يتم فيه تبادل المفعة بين الجانبين وقومية الرجال على النساء .

الثالث : الحدود المقررة في القرآن والسنة لنجد بها حرمتنا في الأعمال ولا تتجاوزها .

ثم قال العلامة المودودى : « فهذا الجزء القطعى غير القابل للتغيير من أجزاء قانون الإسلام هو الذى يعين فى حقيقة الأمر حدود مدينة الإسلام وصورتها الممتازة المخصوصة ، ومن الحال أن يشار إلى مدينة تستطيع البقاء بدون أن يكون فيها عنصر لا يقبل التغيير ، وكل مدينة ليس فيها عنصر كهذا العنصر فاهى بمدينة مستقلة أصلاً .

وعلى الرغم من أن القوانين الوضعية تقر مبدأ الدستور الجامد والدستور

كارد ورد بقوله : « من ألم ما يحتاج إليه التشريع اليوم أن نصوغ له فلسفة للتفوق بين الرغبات المتحاربة حول ثبات عنصر وتحير عنصر آخر ، كما نقل ذلك عنه الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه *الإسلام يتحدى* » . وبذلك تكون الشريعة الإسلامية تتفق مع الاتجاه الصحيح للعقل في مجال القانون ، كما تتفق معه في كل المجالات .

وإن هذه القاعدة الإسلامية الأصولية تجعل الشريعة الإسلامية قادرة على مواجهة المشكلات في كل العصور وحلها .

ومن قبل أن يتجه خبراء التشريع الغربي إلى ضرورة وجود عناصر تتمتع بالدومان والأبدية في التشريع بجانب العناصر التي تتصف بالمرونة ، عرفت الدول الأوروبية نظري الدستور الجامد والدستور المرن ، والغاية من النظرية الأولى - كما يقول الدكتور وايت إبراهيم في كتابه *القانون الدستوري* - أن لا يكون أساس النظم الحكيمية عرضة للتغيير في كل آن ، وغالب أن كل دستور مسطور يكون جامداً ، وكل دستور غير مسطور يكون مرنا في الغالب ، انتهى النص .

ومن المعروف أن الدساتير غير المسطورة نادرة جداً في العالم . و بما يؤكد أهمية وجود عنصر يتمتع بالدومان والأبدية في التشريع أن الفقيه الفرنسي الكبير وجى اعتبر الحقائق التاريخية إحدى الركائز التي يتكون منها جوهر القاعدة القانونية حيث رأى « أنه لا يمكن إغفال دور الحقائق التاريخية في تكوين القواعد القانونية إذ أنها تضفي عليها نوعاً من الثبات والاستقرار وإذا لم يكن من شأن تلك الحقائق أن تنصم قواعد القانون من التطور إلا أنها تجعل هذا التطور يتم في ضوئها وعلى هديها الأمر الذي يساعد يده وبين

بالنصوص التي تعتبرها تشرعية، كالتزم بشرحها، وتعتبرها المصدر الصحيح والوحيد لاستخلاص القواعد القانونية التي يدعو إليها التطور الانساني.

ويرى الدكتور محمد يوسف موسى، أن القانون باهتمامه للعرف واعتباره التشريع مصدره الوحيد يق جاماً لا يتطرق حسب الزمن بخلاف الشريعة الاسلامية التي لم تهمل العرف وجعلت رعايته أصلًا من أصولها العامة على شروط معينة، ذكرها علماء أصول الفقه.

الحقيقة الخامسة:

إن قدم الشرائع أو القوانين أو الأفكار - بمدورة قرون أو عشرات القرون على انتشارها - لا يكفي مطلقاً لاعتبارها غير صالحة، فقد تكون قواعدها قابلة لمواجهة تحديات التطور في الحياة يدل على ذلك مثلاً أن نظرية أرسطو في شكل الحكومات وفي تابع أشكال الدول قد أصبحت من النظريات السياسية الأساسية، كما يقول عدد من فقهاء القانون الدستوري وعلماء السياسة المذاهرين و منهم الدكتور وايت إبراهيم في كتابه «القانون الدستوري» - ص ١٢ - .

وما يدل على أن قدم القوانين لا يكفي مطلقاً لاعتبارها غير صالحة أن بريطانيا لا تزال تعتمد اليوم على قوانين قديمة كالهرد الأكبر الصادر في عام ١٢١٥ ميلادية وقانون وبيان الحقوق الصادر في عام ١٦٨٩ .

واكثر من ذلك كله ، دلالة على أن قدم القوانين لا يجعلها غير صالحة، أن معظم القوانين الاوروبية الحديثة - كما يقول الدكتور صبحي المحمصاني في كتابه «فلسفة التشريع في الاسلام» - ص ١٢٩ - تأثرت بوجه عام بالقانون الروماني، و اخذه أساساً لها مع التغيير الذي يتطلبه تطور الأمم ، كما أن

المرن ، إلا أن الدستور الجامد لا يتمتع بالدؤام والأبدية ، وإن كان تعديله يتطلب إجراءات طويلة و معقدة .

الحقيقة الرابعة:

منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وبعد صدور مجموعة نابليون القانونية و باعث من إعجاب القانونيين بها ظهرت مذاهب قانونية في إنجلترا و فرنسا تخدم التزام النص القانوني وشرحه في مجال تطوير القوانين وأصحاب هذه المذاهب كما ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه المدخل لدراسة الفقه الاسلامي - يصدرون عن فكرة واحدة تجمع بينهم وهي أن النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ، ولم تفرط فيها من شيء ، فإذا امام القانون إلا أن يستعرض هذه النصوص ويفسرها ناصاً ناصاً فإذا أبجه استخلاص قاعدة منها ليس الذنب على هذا التشريع فإنه يتضمن كل القواعد القانونية ، وإنما العيب على القانون الذي لم يوفق إلى استخلاص القاعدة من النص » - ص ٧١/٧٠ - . المدخل لدراسة الفقه الاسلامي - .

وقد ذكر الدكتور صبحي المحمصاني في كتابه «فلسفة التشريع في الاسلام» إن المحاكم الابتدائية في الولايات المتحدة الاميريكية ، و بريطانيا ملزمة باتباع اجتهاد المحاكم العليا ، و المحاكم العليا بدورها تتقيد بأجهتها السابق بصورة تجعل من السبقات أساساً ثابتاً لأحكامها لا يذكرها تغيره بسلوقة و تتحمل الاجتهاد مؤحداً معلوماً » - ص ١٣٣ ط ٣ - ١٣٠٠ - ١٩٦١ م - .

وفي ضوء اتجاه هذه المذاهب القانونية الغربية يتضح أن التزام النصوص الاسلامية في الشريعة الاسلامية لا ينافض العقل لأن هذه المذاهب القانونية تلزم

تعدد الزوجات وحقوق المرأة في الإسلام

سماحة الشيخ المربى الجليل عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

[هذا المقال في الحقيقة رد على سؤال وجهه أحد المعينين بقضايا الإسلام ومشكلات المسلمين ، إلى المربى الكبير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز المؤقر رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، نشره لما يحتوى عليه من نفع جليل]
• التحرير •

و لا يخفى عليكم - أيها الأخ - أن الكتاب العزيز والسنن المطهرة جاما بالتعدد وأجمع المسلمين على حله ، قال الله تعالى : « فانكروا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورابع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى أن لا تعلوا » الآية ، وقد جمع النبي ﷺ بين تسع من النساء وقع الله بهن الأمة وحمل إليها علوماً نافعة و أخلاقاً كريمة و آداباً صالحة ، وكذلك البيان الكريمان داؤد و سليمان - عليهما السلام - فقد جمع بين عدد كثير من النساء ياذن الله و تشريعه ، وجمع كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بمحاسن ، وقد كان التعدد معروفاً في الأمم الماضية ذوات الحضارة وفي الجاهلية بين العرب قبل الإسلام فجاء الإسلام وحدد ذلك وقصر المسلمين على أربع ، وأباح للرسول ﷺ أكثر من ذلك لحكم وأسرار ومصالح اقتضت شخصيه ﷺ بالزيادة على أربع ، وفي تعدد الزوجات - مع تحريم العدل - مصالح كثيرة ، وفوائد جمة ، منها عفة الرجل وإعفافه عدداً من النساء ، ومنها كثرة النسل الذي يترتب عليه كثرة الأمة وقوتها ، وكثرة من بعد الله منها ،

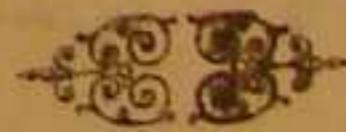
قانون نابليون لا يزال إلى اليوم معمولاً به في فرنسا مع التعديلات التي طرأت عليه رغم أنه صدر في عام ١٨٠٤م وقد كانت القوانين الفرنسية مثلاً اتبعته معظم دول أوروبا في تدوين قوانينها حتى جاء بعضها كالقانون البلجيكي منقولاً عنه بكمله تقريباً .

و أسمى من ذلك كله دلالة على أن من زمن طويل على أية شريعة لا يجعلها غير صالحة ، إن القانونيين الغربيين قد نقلوا عن الشريعة الإسلامية كثيراً من القواعد والأحكام .

و من المعروف أن قانون نابليون - كما قرر ذلك مفكرون ومؤرخون غربيون و منهم المؤرخ المعروف سيديو - تأثر بالشريعة الإسلامية ، و لقد اعترف المؤرخ ويلز في كتابه « ملامح من تاريخ الإنسانية أن أوروبا مدينة بالجانب الأكبر من قوانينها التجارية و لادارية للإسلام .

و لقد ذكر معالي الأستاذ أحمد زكي يعاني في كتابه « الشريعة الخالدة و مشكلات العصر » ، أن الفقيه الإيطالي المشهور دي سانتيلانا يبرر اهتمامه واهتمام القانونيين الغربيين بالشريعة الإسلامية بأنها هي التي أوحت دون شك بالمبادئ القانونية الحديثة في المجتمع الغربي و إعادة بعض القواعد الفنية في التجارة والشركات المحدودة .

• يتبع •



و خرس يحيط بعده الرجال المتزوجين الذين هم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلاً و عالة و عاراً على المجتمع الإنساني فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب والهوان وسلم عرضهن وعرض أولادهن ، فإن مراجعة المرأة للرجل متاح بنا الدمار ، لم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها وليس على الرجل وعليه وليس عليها ، وبماحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين ، ونقل صاحب المدار - أيضاً - في ص - ٣٦١ - من الجزء المذكور عن كاتبة أخرى أنها قالت : (لأن تشاغل بناها في البيوت خواتم أو كالخواتم خير وأخف بلاء من اشغالهن في المعامل حيث تصبح الفتاة ملونة بأدران نذهب برونق حياتها إلى الأبد ، إلا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، والظهور حيث الخادمة و الرقيق يتنعمان بأرغاد عيش و يعاملان كما يعامل أولاد البيت ولا تنس الأعراض بسوء ، نعم إنه لعار على بلاد الأنجلترا أن يجعل بناها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بناها لانسعى ورامها يجعل الفتاة تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها) انتهى .

وقال غيره ، قال (غوستاف لوبيون) : إن نظام تعدد الزوجات نظام حسن يرفع المستوى الأخلاقى في الأمم التي تمارسه ويزيد الأسر ارتباطاً وتنبع المرأة احتراماً و سعادة لا تجد لها في أوروبا .

ويقول برنادشو الكاتب : (إن أوروبا مستطرد إلى الرجوع إلى الإسلام واحدة ، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناها ربات بيوت ، فالباء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بأمرأة واحدة ، وهذا التحديد هو الذي جعل بناها شوارد وذفيفين إلى الفساد أعمال الرجال ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يتع للرجل النزوح بأكثر من واحدة أى ظن)

هذا بعض ما اطلعنا عليه من كلام أعداء الإسلام في محسن الإسلام و تعدد الزوجات ، وفيه عذبة لكل ذي لب ، و الله المستعان .

في الشارقة ، و مناطق الخليج العربي

سعيد الأعظمي الندوى

في الأسبوع الثاني من شهر ذى القعدة عام ١٣٩٣هـ أتيح لى مناسبة كريمة للرحلة إلى الشارقة إحدى إمارات الخليج العربي ، على دعوة من صاحب السعادة الشيخ عبد الله العلي المحمود المدير العام للأوقاف والشئون الإسلامية بالشارقة ، وقد كان زميل الرحلة الأخ قرقىز الندوى مدير المكتبة التجارية بدار العلوم . وصلنا إلى الشارقة في ١٢ من ذى القعدة ونزلنا في أحد الفنادق حيث قضينا بعض الوقت ، ولكن مضيفنا فضيلة الشيخ عبد الله العلي المحمود أبي إلا أن ننزل في بيته ، وأمر بنقل الأغراض من الفندق إلى البيت ، فأصبخنا بين أعضاء أسرته لاشعر بأى شعور من الغربة ، وقد أحاطنا بعطفه وكرمه ، ورعاية المهمة التي كنا نتحمل مسؤوليتها ، طوال مدة إقامتنا عنده ، وقد استصجينا عدة مرات إلى سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة ، الذى رحب بنا أحرى الترحيب في بلده وبين أصحابه وإخوته ، وبذل لنا من خالص التفاني واهتمامه الخاص بشأننا ما لا ننساه أبداً ، فجزاه الله عنا كل خير . كما زرنا أبوظبى ، برفقة فضيلة الشيخ عبد الوودود شابى ونزلنا بضيافة الحكومة في فندق الرايخ حيث قضينا وقتاً طيباً ، وشكر سعاده الدكتور عز الدين ابراهيم مستشار سمو الحاكم الثقافى ، الذى تبنى قضيتنا ، واهتم بنا بالغ الاهتمام ، فجزاه الله عنا خيراً .

هذا وقد وجه سمو الشيخ - حفظه الله - دعوة زيارة الشاقة إلى سماحة الشيخ الكبير السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى أثناء وجوده في مكة المكرمة

ربيع الثاني ١٣٩٤هـ

في موسم العام الماضي ، وذلك عن طريق سعادة الشيخ عبد الله العلي المحمود وفضيلة الشيخ عبد الوودود شابى نائب المدير العام للأوقاف والشئون الدينية في الشارقة ، ففضل سماحة الشيخ الندوى بقبولها ووصل إلى الشارقة في ١٢ محرم ١٣٩٤هـ ونزل في فندق كارلتون الشارقة بضيافة سمو الحاكم ورافقه في هذه الرحلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى وكاتب هذه السطور فكنا معه بصفة دائمة وفي كل مناسبة .

وفي اليوم التالي شرف سمو الشيخ سلطان بن محمد الفندق ايرحب بضيفه المؤقر ، ويشكر له هذه الزيارة بلده ، وأطال المجلس مع سماحة الشيخ الندوى بتحدث حول القضايا الإسلامية وشئون المسلمين في العالم ، ويتداول معه الآراء في أمور متعددة دينية ، مما يدل على شعوره المرهف بما يجري في العالم اليوم من أحوال وأوضاع ، وما تجتازه الأمة الإسلامية من مشكلات وعقبات في سبيل نشر الدين وتعظيم فضائل الإسلام ، ورجا سموه أن زيارته لهذه المنطقة ستكون بعثة خير كبير وفي صالح الإسلام ، باذن الله .

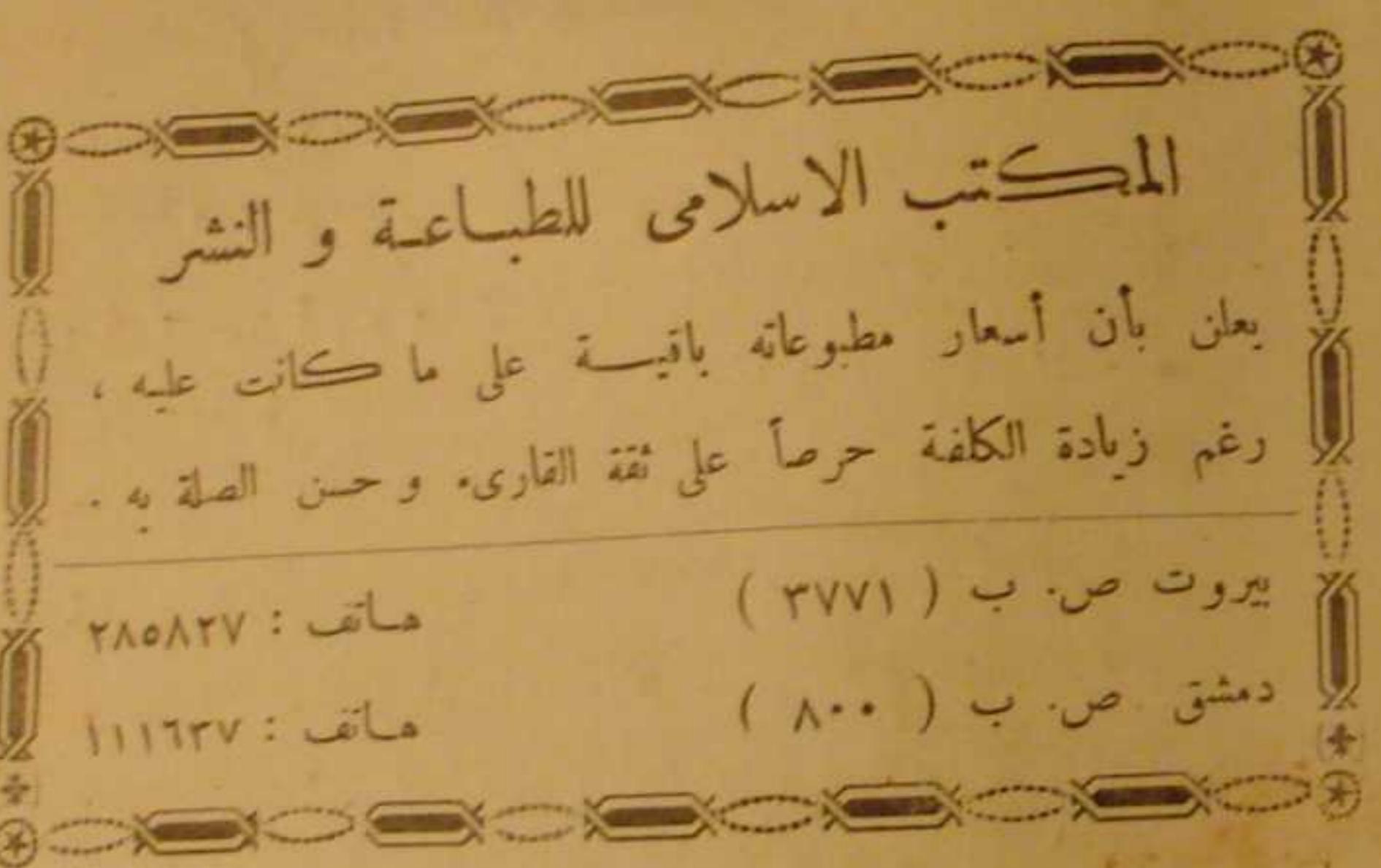
وتكرم المدير العام للأوقاف والشئون الإسلامية بوضع برنامج لمحاضرات سماحة الشيخ الندوى ، فألقى في ليلة الثلاثاء ٤ / محرم ١٣٩٤هـ محاضرة بعنوان « بين الإسلام والمسلمين » في مسجد على بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو مسجد يختص بالاحتفالات الدينية في الشارقة ، وتلقى المحاضرة باعجاب وقبول بالغين ، وبجلتها الإذاعة والتلفزيون ، وأذيعت مرات عديدة من إذاعة الشارقة . أما محاضرته في دبي فكانت في الليلة التالية في المكتبة العامة بدبي باشراف سعاده الأستاذ كمال حمزة رئيس بلدية دبي ، حضرها أعيان الدين بدبي والشارقة ، وأساتذة الكليات والعلماء وكبار الموظفين ، وكان عنوان المحاضرة « كيف دخل العرب التاريخ » وقد أتجهها سماحة الشيخ الندوى بقوة وحماس ، واستمع إليها الحاضرون في غاية من الاعجاب والانصات ، وما أن انتهت المحاضرة إذ

تدفق سيل من الناس يرحبون به ضيفهم الكريم ويشكرؤن له هذه الزيارة لبلدهم ، وبجلت هذه الحاضرة ولكن الشريط المسجل لم نظر به نظراً إلى ضيق الوقت وموعد السفر ، فطلبنا من سماحته أن يملأ علينا اعتماداً على ذاكرته ففضل مشكوراً بالاملاك ، و تناولها بشئ من الحذف والزيادة والتعدل والتصحيح ، حتى تكونت رسالة جيدة في هذا الموضوع ، نشرها المجتمع الاسلامي العلى في لكتبو (المند)

وقد زار سماحة الشيخ الندوى معلم النهضة في هذه المنطقة ، و فرح بما شاهده فيها منوعي ديني في الشعب المسلم ، و تخلق بالأخلاق الاسلامية ، وتفاءل بالشعب المسلم هنا الذي يستطيع أن يؤدي دوراً مهمـاً في مجال البـعث الاسلامي ، و النوعية الدينية إذا أتيحت لها الفرصة .

ومـا يجدر بالذكر أن سماحة الشيخ الندوى نال الاحترام البالغ والاهتمام الكبير من كبار رجال العلم و الثقافة و الدين هنا و أخص بالذكر منهم سعادة الشيخ كامل زغمود مدير مكتب قطر بدبي ، وسعادة الأستاذ كمال حمزة رئيس بلدية دبي ، وفضيلة الشيخ عبد البديع صقر مدير المكتبات العامة حاكم قطر ، سابقاً ، وسعادة الأستاذ عبد الرحمن البشام ، و ذلك عدا ما تكرم به سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة من بذل اهتمامه الكبير بتكريم سماحة الشيخ الندوى ومرافقه ، وعدا ما قام به سعادة الشيخ عبد الله العلـي المـحـمـود ، وفضيلة الشيخ عبد الوودود شابـيـ من تهـيـةـ أـسـبـابـ الـرـاحـةـ و وضع برنـامـجـ المحـاضـراتـ وـالـزـيـاراتـ ، وـلـماـ سـمعـ فـضـيـلـةـ الشـيـخـ أـحـدـ عـدـالـعـزـيزـ الـمـارـكـ رـئـيسـ قـضـاةـ (ـأـبـوـظـيـ)ـ يـقـدـمـ سـماـحةـ الشـيـخـ تـكـرـمـ بـزـيـارـتـهـ فـيـ الشـارـقـةـ ، وـوـجـهـ إـلـيـهـ دـعـوـةـ لـزـيـارـةـ (ـأـبـوـظـيـ)ـ قـبـلـهاـ سـماـحةـ الشـيـخـ وـرـجـاهـ أـنـ يـوـجـلـهـاـ لـمـوـعـدـ آـخـرـ فـيـ الـمـسـتـقـلـ .

وـنـحـنـ إـذـ شـكـرـ الجـمـيعـ مـنـ أـعـمـاقـ ذـلـكـ نـلـوـبـنـاـ عـلـىـ حـسـنـ قـيـامـهـ بـتـأـدـيـةـ حـقـوقـ الصـيـافـةـ وـاحـفـائـهـ بـشـأنـ ضـيـوفـهـ نـبـتـهـلـ إـلـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ أـنـ يـكـتـبـ لـهـ أـحـسـنـ الـجـزـاءـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ وـيـتـقـبـلـ مـاـ وـمـنـهـ ، إـنـهـ سـمـيعـ مـجـبـبـ .



المكتب الاسلامي للطباعة و النشر

بعـلـ بـأـنـ أـسـعـارـ مـطـبـوـعـاتـهـ بـأـيـةـ عـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـىـ ،
رـغـمـ زـيـادـةـ الـكـلـفـةـ حـرـصـاـ عـلـىـ ثـقـةـ الـقـارـيـ وـحـسـنـ الـصـلـةـ بـهـ .

بـيـرـوـتـ صـ.ـ بـ (ـ٣٧٧١ـ)
هـاتـفـ :ـ ٢٨٥٨٢٧ـ

دـمـشـقـ صـ.ـ بـ (ـ٨٠٠ـ)
هـاتـفـ :ـ ١١١٦٢٧ـ